نمو التفكير الأخلاقي لدى عينة من الذكور السعوديين في سن المراهقة و الرشد

د. حسين عبدالفتاح الغامدي
قسم علم النفس ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة

مقدمـــة:

حظي موضوع الأخلاق باهتمام المفكرين والفلاسفة عبر التاريخ، كما كـان موضوعا أساسيا للأديان، و أخيرا أصبح موضع اهتمام علماء الاجتماع وعلمـــاء النفس على اختلاف مشاربهم. وفي علم النفس، تعتبر نظرية كولـــبرج Kohlberg (1969) في نمو التفكير الأخلاقي Moral Reasoning Development من أهم ما قـدم في هذا المجال خلال النصف الثاني من القـرن العشـرين. وكنتيجـة لذلـك فقـد استثارت عددا كبيرا من الدراسات في مختلف الثقافـات (Snarey, 1985)، حيـث هدفت في مجملها إلى اختبار مصداقية النظرية عالميا، ثم إلى كشف طبيعـة نمـو التفكير الأخلاقي خلال مراحل العمر المختلفة ومـدى تـأثره بـالعوامل المختلفـة كالفروق الثقافية والجنسية، وعلاقته بالمتغيرات الشخصية كالنمو المعرفـي ونمـو الأنا والهوية وغيرها من جوانب النمو الأخرى.

وبالرغم من دعم نتائج الكثير من الدراسات عبر الثقافيـة Cross-cultural studies لعالمية مسار النمو الأخلاقي كما افترضه كولبرج، فإنها تؤكد في الوقـت نفسه وجود فروق ثقافية في سرعة النمو والمستويات الممكن تحقيقها، ففـي حيـن تؤكد كثيرا من الدراسات وقوع المراهقين ونسبة كبيرة من الراشدين بين المرحلـة الثالثة والرابعة وجدت دراسات أخرى أن المراهقين والراشدين قـد لا يتجـاوزون المرحلة الثانية، بل وعلى النقيض من كل ذلك تؤكد دراسات أخرى إمكانية وصـول المراهقين في المراهقة المبكرة والراشدين على حد سواء إلى المرحلة الرابعـة. إلا انه وبالرغم من الاعتراف بأهمية الفروق الثقافية فإن اختلاف النتـائج بيـن هـذه الدراسات قد يرجع في بعض الدراسات إلى مشكلات منهجية أكثر منها إلى فـروق ثقافية حقيقية، ولعل من أهمها التطوير والتعديل المستمر في نظام التصحيح لمقيـاس كولبرج لنمو الأحكام الأخلاقية (Snarey, 1985)، كما قد ترجع الفروق لاختـلاف أدوات القياس المستخدمة بعد ذلك و اختلاف درجة تلازمها مع مقياس كولـبرج، أو للتحيز في اختيار العينات وعدم تمثيلها لمجتمعات البحوث أو لغيرها من المشـكلات المنهجية والإحصائية .

ويزداد احتمال وجود المشكلات المنهجية بل و يكون مؤكداً إذا وجد مثل هذا الاختلاف في النتائج بين مجموعة من الدراسات في ثقافة واحدة وعلى عينات متشابهة خلال مجال زمني متقارب. وهذا ما تؤكده نتائج الدراسات المحلية في هذا المجال. فعلى الرغم من ضعف اهتمام الباحثين بموضوع النمو الأخلاقي بصفة عامة، إذ لا يتجاوز عدد الدراسات في هذا المجال العشر دراسات كان أغلبها أطروحات لدرجة الماجستير، فإن نتائج هذه الدراسات جاءت متناقضة بدرجة تنبئ بوجود مشكلات منهجية، ففي حين تؤكد بعض الدراسات تحقيق غالبية المراهقين للمرحلة الرابعة من مراحل نمو التفكير الأخلاقي (خان، ١٤١٢)، تؤكد دراسات أخرى عدم تجاوز غالبيتهم للمرحلة الثانية(علي، ١٤١٨). إضافة إلى ذلك فإن هذه الدراسات إجمالاً لا توفر عمقاً كافياً لفهم هذا الجانب من وجهة نظر نمائية، إذ كانت في مجملها دراسات ارتباطية وسببية مقارنة لم تركز على رصد طبيعة التغير في نمو التفكير الأخلاقي في مراحل العمر المختلفة لإعطاء صورة أوضح، بل أن نتائج هذه الدراسات مجتمعة لا توفر مثل هذه الصورة خاصة في ظل تضارب نتائجها.

وكاستجابة لكل الحيثيات السابقة حاولت هذه الدراسة الكشف عن طبيعة ومسار نمو التفكير الأخلاقي لدى عينة كبيرة نسبياً من الذكور في مرحلة المراهقة والشباب وتحديداً من طلاب المراحل المتوسطة والثانوية والجامعية بين سن ١٣ سنه و٤٠ سنة كما عملت على تحديد تأثير الخصوصية الثقافية في نمو التفكير الأخلاقي من خلال مقارنة نتائج الدراسة ببعض الدراسات العالمية والعبر ثقافية الرائدة في هذا المجال.

أولا: مشكلة البحث :

<u>تساؤلات البحث:</u>

في ظل ضعف اهتمام الباحثين في المملكة العربية السعودية بدراسة نمو التفكير الأخلاقي من وجهة نظر نمائية، وفي ظل تناقض نتائج الدراسات المحدودة المتوفرة، حاولت هذه الدراسة إلقاء الضوء على طبيعة هذا الجانب من النمو ومساره خلال مرحلتي المراهقة و الشباب وتحديداً بين سن ١٣ وسن ٤٥ سنه وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات المحددة التالية.

١. ما طبيعة مسار نمو التفكير الأخلاقي لدى عينة من الذكور السعوديين من أعمار مختلفة بين سن ١٣ و ٤٥ سنة؟

٢. هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في نمو التفكير الأخلاقي بين أفراد العينة من مراحل عمرية مختلفة ؟

٣. ما الفروق الثقافية المحتملة في مستوى وطبيعة نمو التفكير الأخلاقي في ظل مقارنة نتائج الدراسة بنتائج الدراسات الرائدة في هذا المجال؟

التحديد الإجرائي لمصطلحات البحث:

١. نمو التفكير الأخلاقي (الحكم الخلقي):

يستخدم علماء النفس المعرفي مصطلح نمو التفكير الأخلاقي Moral Reasoning والمرادف لمصطلح الحكم الأخلاقي Moral Judgment أو التفكير الأخلاقي الاجتماعي Socio-moral Reflection للإشارة إلى التغير في عمليات التفكير أو الحكم العقلي على ما هو مقبول أو غير مقبول من الناحية الأخلاقية خلال مراحل النمو المختلفة، حيث يتم الانتقال من الأخلاقية غير الناضجة المرتبطة بالنتائج المادية للفعل كنتيجة لتمركز الفرد حول ذاته إلى الأخلاقية الناضجة المرتبطة بتفهم وتقدير المعايير الاجتماعية كأساس للعدل. هذا لا يحدث كنتيجة للاستدخال أو التمثيل المباشر للمعايير الاجتماعية فقط، بل وكنتيجة للنضج العقلي المعرفي الطبيعي الذي يمكن الفرد من توظيف هذه المدخلات. وعلى هذا الأساس بنيت المقاييس المختلفة ومنها مقياس قبس الموضوعي لقياس درجة نضج أحكام الفرد الأخلاقية (Gibbs, 1992).

ومن هذا المنطلق تعرف الدراسة الحالية نمو التفكير الأخلاقي إجرائيا بدرجة النمو الأخلاقي (١٠٠-٥٠٠) والمرحلة المقابلة لها وفقا لمعيار التقدير لمقياس التفكير الأخلاقي الموضوعي Sociomoral Objective Reflection Measure (Gibbs, 1984a). وتشمل:

- المرحلة الأولى: الأخلاقية المادية ذات الجانب الواحد Unilateral and Physicalistic Morality. وتطابق أخلاقية العقاب والطاعة Punishment and Obedience Morality لدى كولبرج، كما تقابل الدرجات ١٠٠-١٢٥ درجة.
- المرحلة الانتقالية بين المرحلة الأولى والثانية : وتشمل النقلة ٢/١ وتقابل الدرجات ١٢٦-١٤٩ درجة، والنقلة ٢/١ وتقابل الدرجات ١٥٠-١٧٤ درجة.
- المرحلة الثانية: الأخلاقية التبادلية والنفعية Exchanging and Instrumental Morality و تطابق الأخلاقية الفردية والغائية النفعية وتبادل المصالح

Individualism, Instrumental Purpose and Exchange Morality لدى كولبرج، وتقابل الدرجات ١٧٥ - ٢٢٥ درجة.

- المرحلة الانتقالية بين المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة وتشمل النقلة ٢/ ٣ وتقابل الدرجات ٢٢٦-٢٤٩ درجة، والنقلة ٢/٣ وتقابل الدرجات ٢٥٠- ٢٧٤ درجة.
- المرحلة الثالثة: الأخلاقية الاجتماعية التعاونية Mutual and Prosaic Morality وتعبر عن أخلاقية التوقعات المتبادلة ، العلاقات، والمسايرة الاجتماعية:Mutual Interpersonal Expectation, Relationships, and Conformity لدى كولبرج، وتقابل الدرجات ٢٧٥- ٣٢٥ درجة.
- المرحلة الانتقالية بين المرحلة الثالثة والمرحلة الرابعة وتشمل النقلة ٣/٤ وتقابل الدرجات ٣٢٦-٣٤٩ درجة، و النقلة ٣/٤ وتقابل الدرجات ٣٥٠- ٣٧٤ درجة.
- المرحلة الرابعة: أخلاقية النظام والمعيار Systematic and Standard Morality وتطابق أخلاقية النظام الاجتماعي والضمير Social System and Conscience لدى كولبرج، و تقابل الدرجات ٣٧٥-٤٢٥ درجة.
- المرحلة الانتقالية بين المرحلة الرابعة والمرحلة الخامسة وتشمل النقلة ٤/٥ وتقابل الدرجات ٤٢٦-٤٤٩ درجة، و النقلة ٤/٥ وتقابل الدرجات ٤٥٠-٤٧٤ درجة.
- المرحلة الخامسة: أخلاقية العقد الاجتماعي والحقوق الفردية Social Contract and Individual Rights_وتقابل الدرجات ٤٧٥-٥٠٠ درجة.

٢. المراحل العمرية :

تتعامل الدراسة مع متغير العمر من خلال تقسيمه إلى مجموعة من الفئات العمرية والتي روعي فيها طول الفئات العمرية المستخدمة في دراسة كولبرج الطولية (Colbey et al., 1983) وتشمل ١٣-١٤، ١٥-١٦، ١٧-١٨، ١٩-٢٠، ٢١-٢٢، ٢٣-٢٤، ٢٥-٤٥ سنة.

أهداف و أهمية الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى كشف طبيعة التغير في نمو التفكير الأخلاقي لدى عينة من الذكور بين سن ١٣ سنه وسن ٤٥ سنه في المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية ومدى دلالة هذا التغير من الناحية الإحصائية بين الأفراد

من فئات عمرية مختلفة. كما تهدف إلى كشف الفروق الثقافية بين السعوديين وغيرهم من الثقافات الأخرى وذلك من خلال مقارنة نتائج الدراسة بنتائج الدراسات الرائدة في نفس المجال، وتحديدا بدراسة كولبرج الطولية (Colbey et al., 1983).

وترتبط أهمية الدراسة بأهدافها ، إذ أنها، على حد علم الباحث، من الدراسات العربية القليلة والدراسة المحلية الأولى التي تهدف إلى كشف طبيعة مسار نمو التفكير الأخلاقي بمنهج نمائي لدى عينة من مراحل عمرية مختلفة وبمدى عمري واسع. كما تأتي أهميتها من هدفها التصحيحي لمسار الدراسات المحلية في مجال نمو التفكير الأخلاقي خاصة في ظل النتائج المتضاربة للعدد المحدود من الدراسات الارتباطية والسببية المقارنة في هذا المجال.

وعلى أساس ما تقدم فإن من المتوقع أن تقدم صورة أكثر مصداقية عن نمو هذا الجانب من جوانب النمو لدى السعوديين من وجهة نظر ثقافية وذلك من خلال مقارنها بنتائج دراسة كولبرج الطولية. هذا الصورة يمكن بطبيعة الحال أن تكون قاعدة تعتمد عليها برامج التربية القيمية والأخلاقية في المملكة العربية السعودية، فضلا عن إمكانية استفادة المربين والمرشدين من نتائجها في فهم سلوك الأطفال والمراهقين.

ثانيا: الإطار النظري :

نظرية كولبرج في نمو التفكير الأخلاقي

تعتمد نظرية كولبرج (Colbey et al., 1983, 1987; Kohlberg , Kohlberg 1958, 1969, 1980, 1981) في نمو التفكير الأخلاقي Moral reasoning أو الحكم الخلقي Moral Judgment إلى درجة كبيرة على نظريات بياجيه (1929; Piaget 1932) في النمو المعرفي Cognitive Development بصفة عامة والنمو الأخلاقي Moral Development بصفة خاصة. ووفقا لنظرية بياجيه (1929) فإن النمو المعرفي يمثل تغيرا نوعيا في البنية المعرفية وبالتالي في نمط التفكير كنتيجة للعمليات المتتالية من انعدام التوازن و التوازن والناتجة أساسا عن التفاعل المستمر بين العوامل البايولوجية و البيئية المتغيرة. مما يدفع إلى انحسار تمركز الفرد حول ذاته من خلال أربع مراحل يتحول فيها النمو من نمط غير منطقي في المرحلتين الأولى والثانية إلى نمط من التفكير المنطقي العياني في المرحلة الثالثة ثم التجريدي في المرحلة الرابعة. و على هذا الأساس طور بياجيه Piaget (1932) نظريته في نمو التفكير الأخلاقي لدى الأطفال ، حيث توصل من خلال ملاحظته

ودراساته الإكلينيكية لسلوك و أحكام الأطفال إلى تحديد نمطين للتفكير الأخلاقي هما أخلاقيات التبعية للسلطة والواقعية الأخلاقية Heteronym and moral realism و الأخلاقية المستقلة Autonomous Morality ، حيث يتسم تفكير الطفل في هذه المرحلة بالتمركز حول الذات، مما يدفعه إلى ربط الأحكام الأخلاقية بقوانين السلطة معتقدا حتميتها وحتمية وموضوعية العقاب المترتب على كسرها.في حين تنحسر درجة تمركز الفرد حول ذاته وتزداد قدرته على اعتبار وجهات النظر المختلفة والنظر إلى القضايا من زواياها المختلفة مما يعني فهما جديدا للعدل والأخلاق يقوم على النسبية.

ولقد طور كولبرج Kohlberg نظريته في نمو التفكير الأخلاقي معتمدا بشكل أساسي على فكر بياجيه ، إذ يمثل النمو المعرفي من وجهة نظر كولبرج (Colbey et al., 1987) شرطا ضروريا غير كاف لنمو التفكير الأخلاقي. وبطريقة مشابهة لوجهة نظر بياجيه اعتمد كولبرج على مبدأ العدالة كمبدأ قادر على توفير قاعدة لفهم الأحكام الأخلاقية عالميا، حيث يسير التفكير الأخلاقي من التوجه الأخلاقي (أ) المرتبط بالمنفعة ثم المعيارية إلى التوجه الأخلاقي (ب) المرتبط بالعدالة والكمال (Walker, 1989). ولقد خرج كولبرج Kohlberg من دراساته المتعددة بتحديد ثلاثة مستويات أساسية لنمو التفكير الأخلاقي يحتوي كل منها على مرحلتين. وتعبر كل مرحلة من هوه المراحل عن تغير نوعي في البنية المعرفية و إعادة لتنظيمها فتكون وحدة بنائية معرفية مختلفة عن سابقتها حيث تكون أكثر تركيبا وأكثر اتساقا مع معيار النضج أو الكفاية الأخلاقية. يمكن إيجاز خصائصها الأساسية فيما يلي:

المستوى الأول: أخلاقية ما قبل العرف The Pre-Conventional Morality:

يقع الأطفال وبعض من المراهقين ونسبة كبيرة من الجانحين والمجرمين في هذا المستوى، والذي ترتبط فيه أحكام الفرد الأخلاقية بالالتزام بالقواعد الاجتماعية المحددة لما هو مقبول أو مرفوض، و ذلك من خلال القوة الخارجية التي تفرضها هذه القواعد و النتائج المادية السارة أو غير السارة المترتبة عليها. ويشمل هذا المستوى مرحلتين فرعيتين هما:

المرحلة الأولى: أخلاقية العقاب والطاعة Punishment and Obedience Morality:

يقع غالبية الأطفال تحت سن عشر سنوات في هذه المرحلة كنتيجة لتمركزهم الشديد حول ذواتهم، مما يدفع بهم إلى ربط الأحكام الأخلاقية بقواعد السلطة الخارجية وما يترتب على سلوك الفرد من ردود أفعال مادية لمن يمثل السلطة.

فالصحيح أو المقبول هو ما تثيب عليه السلطة والخطأ أو غير المقبول هو ما تعاقب عليه السلطة. ولذلك يعتبر الفرد طاعة السلطة قيمة أخلاقية في حد ذاتها لا لأنه على دراية بأهمية القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تحميها هذه القواعد، بل لأنها تجنبه التعرض للعقاب. ومن الأمثلة على الاستجابات التي تعكس نمط التفكير في هذه المرحلة الاستجابات التالية على بعض مفردات مقياس كولبرج للتفكير الأخلاقي(MJI):

- *"يسرق. إذا تركت زوجتك تموت فسوف تقع في مشكلة. وتتهم بعدم إنقاذها حتى لا تصرف النقود، وسوف يقبض عليك وعلى الصيدلي بسبب موت زوجتك.*
- *لا يسرق. إذا نجوت فستبقى خائفا من أن تقبض الشرطة عليك في أي لحظة ". (Kohlberg, 1981, p. 52)*

المرحلة الثانية: أخلاقية الفردية والغائية النفعية وتبادل المصالح Individualism, Instrumental Purpose and Exchange Morality: ترتبط الأحكام الأخلاقية بما يشبع عمليا حاجات الفرد نفسه، وحاجات الآخرين إذا كان إشباعها ضرورة لإشباع حاجاته. ولهذا فإن الفرد ينظر إلى العلاقات الإنسانية من وجهة نظر نفعية إذ يفهمها على أساس تبادل المنافع. وانطلاقا من هذا الفهم تظهر عناصر العدالة والتقسيم العادل، إلا أنها تفهم من وجهة نظر مادية أو عملية تبادلية وذلك تبعا لقانون "خذ وهات"، وليس على أساس تطبيق مبدأ العدالة لتحقيق لعدالة نفسها. وفيما يلي أمثلة من استجابات الأفراد في هذه المرحلة.

- *"يسرق. إذا قبض عليك فسوف تعيد الدواء، ولن تأخذ حكما كبيرا . لن يهمك أن تبقى في السجن وقتا قصيرا إذا كنت ستجد زوجتك عندما تخرج.*
- *لا يسرق. قد لا يسجن مدة طويلة إذا سرق الدواء، ولكن زوجته يمكن أن تموت قبل أن يخرج، لذلك فالسرقة لم تفده كثيرا. لا يجب أن يلوم نفسه. ليس ذنبه أن لديها سرطان". (Kohlberg, 1981, p. 52)*

المستوى الثاني: أخلاقية العرف والقانون Conventional Morality .

يقع كثير من المراهقين ونسبة كبيرة من الراشدين في هذه المستوى. وتمثل أخلاقيات العرف نقلة كيفية من الذاتية إلى الاجتماعية في التفكير الأخلاقي، حيث ترتبط أحكام الفرد الأخلاقية بالمحافظة على السلوك المتوقع منه، إذ يقوم تفكيره على أساس فكر المجموعة. و يشمل هذا المستوى مرحلتين هما:

المرحلة الثالثة: أخلاقيـــة التوقعـــات المتبادلـــة، العلاقـــات، والمســـايرة Mutual Interpersonal Expectation, Relationships, and Conformity Morality: يصبـــح الفرد أكثر إدراكا لحاجات الآخرين وانفعالاتهم ولتوقعاتهم منه، كما يصبـــح أكـــثر إدراكا لارتباط قبولهم له بسلوكه تجاههم، ولتحقيق ذلك يميـــل الفـــرد فـــي هـــذه المرحلة إلى القيام بما هو متوقع منه، كما يصبح للقصد أهمية للمرة الأولى ولـــهذا توصف أخلاقياته بأنها (أخلاقية الإنسان الطيب) فالفعل الأخلاقي هو الفعل الـــذي يقصد به إسعاد أو مساعدة الآخرين ويكون مقبولا منهم. ومن الاســـتجابات التـــي تعكس نمط تفكير الأفراد في هذه المرحلة الاستجابات التالية:

- *"يسرق. لن يرى أحد انك سيئ إذا سرقت الدواء، ولكن عائلتك سترى أنك لست إنسانيا إذا لم تفعل ، ولن تستطيع النظر في وجه أحد مرة أخرى.*
- *لا يسرق. ليس الصيدلي فقط من سينظر إليك كمجرم. كل الناس سينظرون إليك كذلك . بعد أن تسرقه ستشعر بمشاعر سيئة لأنك جلبت العار للعائلة ولنفسك. لن تستطيع أن تقابل أي أحد بعد ذلك" (Kohlberg, 1981, p. 52)*

المرحلة الرابعة: أخلاقية النظـــام الاجتمـــاعي والضمـــير Social System and Conscience Morality: تمثل هذه المرحلة نقلة كيفيـــة فـــي التفكـــير الاجتمـــاعي الأخلاقي حيث ترتبط الأحكام الأخلاقية فيها بالنظرة القانونية لمـــا هـــو مقبـــول أو مرفوض، فالصواب يرتبط بطاعة القانون طاعة مطلقه، وكسره لأي ســـبب يعتـــبر سلوكا غير مقبول بصرف النظر عن الضرورات الملحة والحاجات الفردية، إلا أن أخلاقيات القانون في هذه المرحلة تختلف تماما عن أخلاقيات السلطة في المرحلـــة الأولى والتي يظهر الفرد فيها التزاما بقواعد السلطة خوفا من العقـــاب، حيـــث أن المبرر للالتزام بالقانون في هذه المرحلة يرتبط بادراك الفرد لأهميته فـــي الحفـــاظ على النظام الاجتماعي من الانهيار. و من الأمثلة علـــى اســـتجابات الأفـــراد فـــي المرحلة الرابعة ما يلي:

- *"يجب أن تسرقه. إذا لم تفعل شيء فســـوف تـــترك زوجتـــك تمـــوت. إنـــها مسئوليتك إذا تركتها تموت. يجب أن تأخذ الدواء بنية الدفع للصيدلي فيما بعد.*
- *لا يسرق. شيء طبيعي أن يرغب هينز Hinz في إنقاذ زوجته، ولكنـــه دائمـــا خطأ أن تسرق. إنه يدرك انه يسرق، ويسرق دواء ثمين مـــن الرجـــل الـــذي صنعه". (Kohlberg, 1981, p.50)*

المستوى الثالث: مرحلة ما بعد العرف والقانونThe Post-Conventional Morality:

قلة من الأفراد يمكن أن يحقق هذا المستوى. وفيه تظهر محاولة واضحة لتحديد واتباع القيم والمبادئ الأخلاقية الإنسانية بصرف النظر عن مدى ارتباطها بالقانون والعرف الاجتماعي. ويشمل هذا المستوى مرحلتين هما:

المرحلة الخامسة: أخلاقية العقد الاجتماعي والحقوق الفرديةSocial Contract and Individual Rights Morality : يصل قليل من الأفراد إلى هذه المرحلة والتي يتمكن الفرد فيها من إدراك نسبية القيم والحاجات الفردية، مما يعني تطور في نظرته للقانون لا كقواعد جامدة للمحافظة على النظام الاجتماعي فقط ولكن كقواعد متفق عليها كعناصر لعقد اجتماعي بين الأفراد لحماية الجميع، ومن هذا المنطلق ترتبط أحكام الفرد الأخلاقية بقيمه الشخصية المرتبطة بهذا الفهم الجديد لمعنى القانون القائم على احترام الحقوق الفردية والاجتماعية وتحقيق العدالة الاجتماعية. هذا يعني إمكانية تغيير هذه القواعد عند فشلها في تحقيق العدالة للجميع. ومن الأمثلة على استجابات الأفراد في هذه المرحلة ما يلي:

- *"يسرق. القانون لم يوضع لهذه الظروف. أخذ الدواء في هذه الحالة ليس صحيحا، ولكنه سلوك له ما يبرره.*
- *لا يسرق. لا يمكن لك أن تلوم تماما أي شخص على السرقة في مثل هذه الحالة، ولكن الظروف الشديدة لا تبرر فعلا اخذ القانون في مصلحتك. لا يمكن أن نترك كل شخص يسرق عندما يكون يائسا. الغاية يمكن أن تكون جيدة ، لكن الغاية لا تبرر الوسيلة." (Kohlberg, 1981, p.50)*

المرحلة السادسة: أخلاقية المبادئ العالمية (الإنسانية)Universal Ethical Principles Morality: ندرة من الأفراد يمكن له تحقيق هذه المرحلة، مما دفع بكولبرج Kohlberg (1984) إلى اعتبارها مرحلة افتراضية ترتبط فقط بمبادئ بعض النماذج النادرة، حيث ترتبط أحكام الفرد الأخلاقية فيها بمبادئ أخلاقية مجردة ذاتية الاختيار Self-chosen ethical principles ترتبط بالفهم المنطقي والعالمية والضمير، مما يعني النظر للعدالة والمساواة والتبادلية وحقوق الأفراد كمبادئ إنسانية عامة تعنى باحترام حقوق الإنسان لإنسانيته دون اعتبار لأي مؤثرات أخرى. ومثالا على استجابات الأفراد في هذه المرحلة الاستجابات التالية:

- *"يسرق. لأنه في وضع يجعله أمام موقف الاختيار بين السرقة أو ترك زوجته تموت. في الحالة التي يتوفر فيها الاختيار، أخلاقيا تكون السرقة مقبولة. يجب أن يتصرف من منطلق مبدأ حفظ واحترام الحياة".*
- *لا يسرق. يواجه هينز بقرار اعتبار الناس الذين يحتاجون الدواء كزوجته. لا يجب أن يتصرف هينز من منطلق مشاعره نحو زوجته، بل بالنظر إلى قيمة حياة كل المحتاجين". (Kohlberg, 1981, p. 51)*

ثالثا: الدراسات السابقة :

تؤكد نتائج معظم الدراسات ومنها دراسات كولبرج المختلفة على عينات من ثقافات مختلفة عالمية تتابع مراحل نمو التفكير الأخلاقي من جانب، والخصوصية الثقافية المؤثرة على سرعة ومستويات النمو من جانب آخر، ذلك أن نمو التفكير الأخلاقي شأنه شأن أي جانب من جوانب النمو ناتج عن عوامل متعددة تشمل العوامل الثقافية وأساليب التربية و التطبيع الاجتماعي والعوامل الشخصية إضافة إلى المواقف العرضية وما تفرضه من ضغوط آنية قد تؤثر في أحكام الفرد وقراراته(Moon, 1986).

و تؤكد غالبية الدراسات وقوع المراهقين والشباب إجمالا بين المرحلة الثانية والمرحلة الرابعة مع ميل المراهقين للوقوع في المرحلة الثالثة ووقوع الشباب في المرحلة الرابعة بشكل أكبر. في هذا الاتجاه، تشير دراسة كولبرج Kohlberg (قناوي، ١٩٨٧) والتي أجراها على عينة من الأمريكيين إلى وقوع غالبية المراهقين والراشدين بين المرحلة الثالثة والرابعة مع ميل المراهقين للوقوع في المرحلة الثالثة وميل الراشدين للوقوع في المرحلة الرابعة، في حين أمكن لقلة منهم أن تحقق المرحلة الخامسة وندرة فقط يمكن أن تصل إلى السادسة. كما وجد كولبرج (Kohlberg and Kramer, 1969; Kohlberg,1969, 1980) في دراسته على عينات من ثقافات مختلفة بين سن ١٠ و ١٦ سنه من الطبقات المتوسطة من سكان المناطق الحضرية صدق تتابع مراحل نمو التفكير الأخلاقي وتشابه المسار رغم الفروق الثقافية، حيث تشير النتائج الخاصة بعينات من الولايات المتحدة وتايوان والمكسيك كما هو واضح في الرسم البياني (١)، إلى انه بالرغم من وقوع عددا كبيرا من الأفراد في المرحلة الأولى عند سن عشر سنوات فإن نسبة محدودة لا تتعدى ١٠% تبقى في هذه المرحلة عند سن ١٦ سنة. كما تمثل المرحلة الثالثة مرحلة منوالية عند سن ١٦ سنة في جميع الثقافات الثلاث. كما تزداد نسبة من يحقق المرحلة الرابعة في جميع الثقافات عند سن ١٦ سنة، إلا أن تحقيقها يختلف

من ثقافة إلى أخرى، عدد أقل يحقق المرحلة الخامسة وندرة تحقق المرحلة السادسة في جميع هذه الثقافات.

رسم بياني (١): نتائج دراسة كولبرج على عينات من سكان المدن من ثقافات مختلفة:

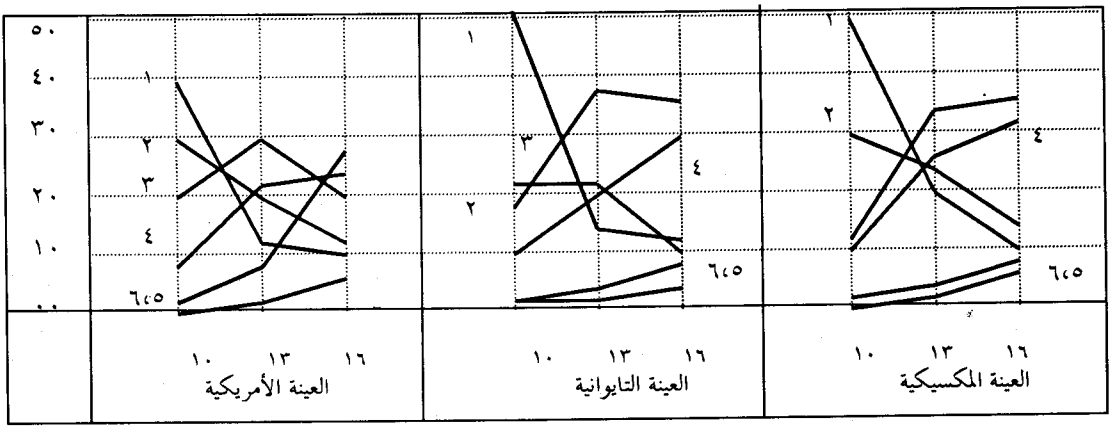

ومراهقا لمدة ٢٠ سنه استمرارية نمو التفكير الأخلاقي وفقا للمراحل المحددة. وقد انتهت الدراسة إجمالا إلى كشف مسارات النمو كما هو واضح في الرسم البياني (٢)، والتي يمكن إيجازها فيما يلي (Colbey et al., 1983):

١. يبقى بعض الأفراد بين سن ١٣و ١٦ سنة في المرحلة الأولى، إلا أن ظهور هذه المرحلة ينتهي تقريبا عند سن ١٦ سنه.
٢. تبقى المرحلة الثانية مرحلة منوالية في بداية المراهقة وتحديدا بين سن ١٠ و١٣ سنة حيث يتسارع انتقال المراهقين منها إلى مراحل أعلى، إلا أن بقاء نسبة من المراهقين والراشدين في هذه المرحلة أمر وارد.
٣. يبدأ تحقيق المرحلة الثالثة بصورة محدودة مع نهايات الطفولة وبدايات المراهقة و تصبح مرحلة منوالية بين سن ١٣و ٢٣ سنة تقريبا، وتبلغ ذروة سيادتها عند سن ١٨ سنة حيث تنخفض نسبة من يبقى فيها تدريجيا نتيجة لانتقال بعضهم إلى مرحلة أعلى، إلا أنها تبقى مرحلة مسيطرة بعد المرحلة الرابعة خلال مرحلة الرشد.

٤. يبدأ تحقيق المرحلة الرابعة عند سن مبكر لدى البعض وذلك خلال المراهقة ، ويتزايد عدد الأفراد المحققين لها مع التقدم في العمر و تصبح مرحلة منوالية عند سن ٢٦ سنه.

٥. قلة فقط يمكن لهم تحقيق المرحلة الخامسة ولا يكون ذلك قبل سن العشرين.

رسم بياني (٢): مسارات نمو التفكير الأخلاقي في دراسة كولبرج الطولية:

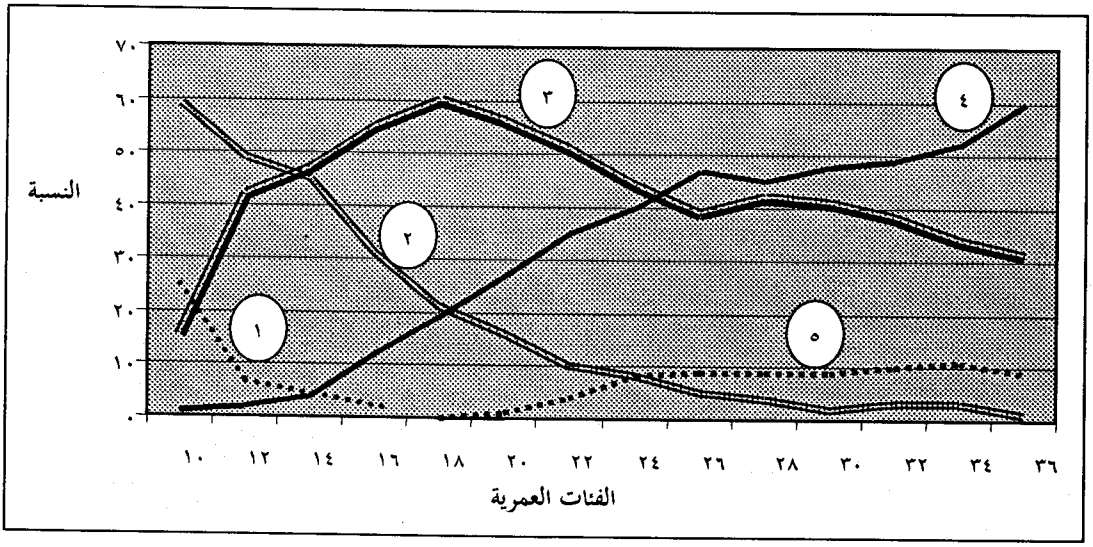

كما تدعم نتائج الكثير من الدراسات العبر ثقافية على عينات من الطبقة المتوسطة من سكان المناطق الحضرية نتائج كولبرج وتفسيره لنمو التفكير الأخلاقي حيث تؤكد مصداقية مراحل النمو ومصداقية مسار النمو أو تتابع المراحل وفقا لما توصل إليه كولبرج، كما تؤكد سيادة المرحلة الثالثة خلال المراهقة والمرحلة الانتقالية بين الثالثة والرابعة(٣/ ٤) و الرابعة مع نهاياتها وبدايات الشباب . ففي العالم الغربي وجد لند Lind (1986) في دراسته على عينة من الألمان في ألمانيا الشرقية والغربية عدم وجود فروق بين المجموعتين وانسجام النتائج مع ما توصل إليه كولبرج. كما وجد كل من مارشاند-جودون وسامسون Marchand-Jodoin & Samson (1982) ثم سامسون (cited in Snarey, Samson 1985) في دراساتهم الطولية على عينة كندية بين سن ١٢و ١٨ سنة أن المرحلة الثالثة مرحلة منوالية للمراهقين بين سن ١٢ و ١٦ سنة، في حين كانت المرحلة

الرابعة مرحلة منوالية للأفراد بين ١٧ و ١٨ سنة. كما أكد سمبسون وقرهام Simpson & Graham (cited in Snarey, 1985) منوالية المرحلة الثالثة لعينة من المراهقين الإنجليز من الطبقة المتوسطة في سن ١٤ سنه.

كما وجد دعما مماثلا لمصداقية هذه النتائج في كثير من المجتمعات الأسيوية والأفريقية. فعلى سبيل المثال تتفق النتائج السابقة إلى درجة كبيرة مع ما وجده تورل وآخرون .Turil et al (1978) على عينة من ١١٣ من المراهقين الذكور بين سن ١٠ و ٢٥ سنة من القرى التركية، ثم نيسان و كولبرج Nisan and Kohlberg (1982) على عينة مشابهة من سكان المدن التركية من الطبقتين المتوسطة والعاملة . فبالرغم من تأخر النمو مقارنة بما وجده كولبرج على العينات الأمريكية فقد وجد أن الأفراد بين سن ١٣ و سن ٢٨ يقعون إجمالا بين المرحلة الانتقالية بين الثانية والثالثة(٢/ ٣) والمرحلة الانتقالية بين الثالثة والرابعة (٣/ ٤)، كما تمثل المرحلة ٢/ ٣ مرحلة منوالية للأفراد بين سن ١٣- ١٨ في الدراستين، وفي حين كانت المرحلة الثالثة مرحلة منوالية للأفراد بين سن ١٩- فأكثر للعينة القروية، كانت المرحلة ٣/ ٤ مرحلة منوالية للأفراد في نفس السن من المدن.

كما تشير دراسة سناري وريمر و كولبرج .Snarey et al (1985) الطولية على عينة من العرب والإسرائيليين من سكان المستعمرات الريفية (Kibbutz) بين سن ١٢ و ٢٦ سنة إلى وقوع غالبية الأفراد بين المرحلة ٣/٢ والمرحلة ٣/ ٤، حيث أظهرت النتائج منوالية المرحلة ٢/ ٣ للعرب من الطبقات تحت المتوسطة والمرحلة الثالثة للإسرائيليين من الطبقات المتوسطة بين سن ١٢ و ١٤ سنة، و منوالية المرحلة الثالثة للمجموعتين بين سن ١٥ و ١٧ سنة. و المرحلة ٣/ ٤ للمجموعتين بين سن ١٨ وسن ٢٦، وقد وجد أن الفروق الثقافية تكون واضحة في المراحل العليا فقط بعد الرابعة.

كما توصلت فازوديف Vasudev (Vasudev & Hummel, 1987; 1983) في دراستها على عينة هندية بين سن ١١ و ٢٣ سنة لنتائج مقاربة، حيث وجد أن الأفراد إجمالا يقعون بين المرحلة ٢/ ٣ والمرحلة ٣/ ٤. كما تشير النتائج إلى منوالية المرحلة ٢/ ٣ للأفراد بين سن ١١ و ١٣ سنة، والمرحلة الثالثة للأفراد بين سن ١٥ و ١٧ سنة، و المرحلة ٣/ ٤ للأفراد بين سن ٢١ و٢٣ سنة. وتتفق هذه النتائج نسبيا مع نتائج بارك Park (1984) على ٤٨٠ من الكوريين، حيث تؤكد نتائج دراسته تشابه مسارات نمو التفكير الأخلاقي لدى الكوريين مع تلك التي توصل إليها كولبرج في دراسته على الأمريكيين، إلا أنه وبالرغم من دلالة الفروق بين الأفراد من فئات عمرية مختلفة في الدراسة الكورية فإن الفروق بين الفئات

العمرية المختلفة كانت أكثر وضوحا لدى العينة الأمريكية. كما تتفق هذه النتائج نسبيا مع ما وجده لي Lie (AL-Ghamdi, 1994)، وأيضا لي وتشانج Lie and Chang (1984, 1989) على عينات تايوانية في سن ١٤، ١٨، ٢٣ سنه ، حيث وجد أن المرحلة الثالثة من مراحل التفكير الأخلاقي مرحلة منوالية للمراهقين في سن ١٤ سنه في حين كانت المرحلة ٣/ ٤ مرحلة منوالية للمراهقين في سن ١٨ وسن ٢٣ سنه. هذه النتائج تتفق إلى درجة ما مع ما وجده كولبرج Kohlberg (1969) على عينة من نفس الثقافة، وأيضا مع نتائج دراسة كيرن Cited Karen (in Snarey, 1985) على عينات من المراهقين في تايوان، إذ وجد أن المرحلة الثالثة مرحلة منوالية للأفراد بين سن ١٣ و ١٦ سنه. كما توصل قيرملي Grimley (cited in Snarey, 1985) إلى نتيجة مشابهة على عينات من اليابان وزامبيا، إذ تؤكد النتائج منوالية المرحلة ٣/ ٤ للأفراد في سن ١٩ فأكثر للعينة اليابانية ، و منوالية المرحلة ٣ للمراهقين بين سن ١٣ وسن ١٧ سنه في زامبيا. كما تؤكد الكثير من الدراسات بالرغم ن توجهها العام لدراسة علاقة نمو التفكير لأخلاقي بمتغيرات الشخصية المختلفة كالجنس والأنا واتجاه الضبط وقوع الأفراد في المراهقة والرشد بين المرحلة الثالثة والمرحلة الرابعة بشكل أساسي (Rest, 1986; Walker,1984, 1989; Ma, 1988; ; Logan, 1990; Snarey & Lydens, 1990; AL-Ghamdi, 1994).

وخلافا لما سبق فقد وجدت قلة من الدراسات نموا متأخرا للإفراد في بعض الثقافات الأقل تطورا. فعلى سبيل المثال تؤكد دراسة قورستش وبارنز Gorsuch & Barnes (1973) على عينة من الذكور بين سن ١٠-١٦ سنة في منطقة بحر الكاريبي والهندوراس وقوع الأفراد في مراحل دنيا من النمو الأخلاقي وأن النسبة الغالبة منهم لا تتعدى المرحلتين الأولى والثانية، كما تؤكد النتائج منوالية المرحلة الانتقالية بين الأولى والثانية ٢/١ للمراهقين بين سن ١٢ و ١٤ سنة، والمرحلة الثانية للمراهقين بين سن ١٥ و ١٦ سنة، في حين أمكن قلة من الأفراد فقط تحقيق المرحلة الثالثة في هذه الثقافات. وتتفق هذه النتائج مع نتائج وات ومعاونيه (White, 1978; 1988) الطولية على ٤٢٦ من الذكور والإناث بين سن ٨ و ١٧ سنه في ثلاث جزر من جزر البهاما حيث وجد أن أيا منهم لم يتعدى المرحلة الثالثة من مراحل التفكير الأخلاقي، وأن المرحلة الثانية مرحلة منوالية للمراهقين بين سن ١٣و ١٧ سنة. كما يؤكد أكس Axe (Snarey, 1985) مثل هذا التدني في نمو التفكير الأخلاقي لدى عينة من المراهقين والشباب الإسكيمو في ألاسكا بين سن ١١ و ٢٥ سنه . وتدعم نتائج كولبرج Kohlberg (1969; 1980;

and Kramer, 1969) وجود مثل هذه الفروق حيث وجد في دراسته على عينات من الأرياف في تركيا و بوكاتان كما يتضح من الرسم البياني (٣) اختلاف طبيعة النمو مقارنة بسكان المدن من المكسيك وتايوان وأمريكا (رسم بياني ٢)، حيث وجد أن نسبة كبيرة من الأفراد في هذه الثقافات لا يتخطوا المراحل الدنيا من مراحل التفكير الأخلاقي كالمرحلة الأولي والثانية ، وأن المرحلة الأولى مرحلة منوالية لأفراد العينة بين سن ١٠ و ١٦ سنه.

رسم بياني (٣): نتائج دراسة كولبرج على عينات ريفية من ثقافات مختلفة:

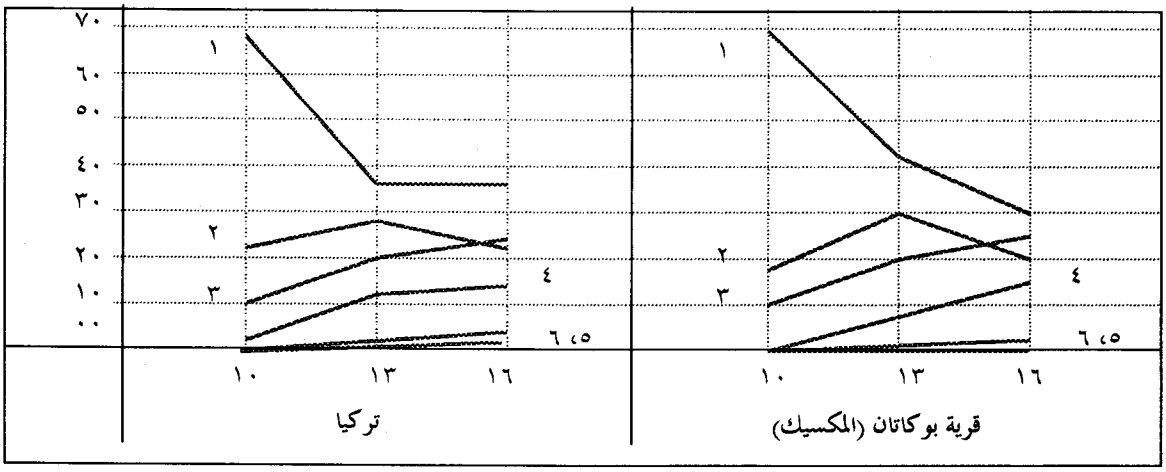

وعلى النقيض من نتائج الدراسات السابقة تؤكد قلة من الدراسات إمكانية تحقيق المراهقين في بعض الثقافات لمراحل متقدمة في التفكير الأخلاقي، فعلى سبيل المثال وجد مقصود Maqsud (1977a; 1977b; 1979 1980) في دراساته على عينة من ١١٦ نيجيريا بين سن ١٤- ١٩ سنة، ثم عينة من ٩٧ نيجيريا وباكستانيا بين سن ١٦-١٧ سنة مثل هذه النتائج، حيث وجد أن المرحلة الرابعة هي المرحلة المنوالية للمراهقين من أعمار مختلفة في كل من الثقافة الباكستانية والنيجيرية. كما وصل ساداتماند (Cited in Snarey, 1985) في دراسته على عينات من الكنديين والإيرانيين إلى نتائج أكثر تطرفا حيث يؤكد تحقيق بعض الأطفال في سن تسع سنوات للمرحلة الرابعة من مراحل التفكير الأخلاقي، حيث تصبح مرحلة منوالية للمراهقين بين سن ١١ وسن ١٦ سنه .إلا أن الدراسة تشير إلى نكوص في

نمو التفكير الأخلاقي وهو ما يصعب تفسيره إذ وجد أن المرحلة الثالثة مرحلة منوالية للراشدين، وهذا قد يكون مؤشرا لمشكلات منهجية بالدراسة.

على أية حال فالبرغم من تأكيد الدراسات السابقة لأثر للفروق الثقافية في سرعة تحقيق مستويات نمو التفكير الأخلاقي المختلفة ، فإنه لا يمكن تجاهل أثر الأخطاء المنهجية ، حيث يشير سناري Snarey (1985) من خلال مراجعته لعدد من الدراسات عبر الثقافية إلى أن بعض الفروق ترجع لعوامل أخرى غير الثقافة ومنها تغيير نظام التصحيح لاختبار كولبرج للحكم الأخلاقي MJI لعدة مرات. فضلا عن الباحث يرى زيادة على ما ذكره سناري أن اختلاف النتائج قد يرجع إلى مشكلات منهجية أخرى منها صغر بعض عينات البحث التي تنعدم معها إمكانية تمثيل المجتمع وبالتالي إمكانية تعميم النتائج، وأيضا الاعتماد على مقاييس مختلفة قد تختلف في درجة صدقها التلازمي مع مقياس كولبرج للحكم الأخلاقي.

أما على المستوى العربي فإن الصورة قد لا تكون واضحة لصعوبة الحصول على المعلومة ، فضلا عن قلة الدراسات النمائية التي ركزت على طبيعة ومسار النمو خلال مراحل العمر المختلفة ، حيث كان معظمها سببية مقارنة أو ارتباطية (ارناؤوط، ١٩٨٢؛ فتحي ١٩٨٥؛ قارة، ١٩٨٩؛ بوحمامة، ١٩٨٩). وتشير نتائج الدراسات المتوفرة إجمالا إلى وقوع المراهقين والشباب بين المرحلتين الثانية والرابعة بشكل أساسي، مع ميل للمراهقين للوقوع في المرحلة الثالثة وميل الشباب للوقوع في المرحلة الثالثة والرابعة.فعلى سبيل المثال يؤكد بدران (١٩٨١) في دراسته على عينة من المراهقين في الأردن من أعمار مختلفة ١٣-١٤ سنة و ١٧-١٨ سنة، إلى وقوع الأفراد بين المراحل الثانية والخامسة مع ميل الأفراد في السن الأصغر إلى الوقوع في المرحلة الثانية والثالثة وميل الأكبر سنا إلى الوقوع في المرحلة الثالثة والرابعة والخامسة. كما يؤكد الفليج AL-Folaij (1992) في دراسته على عينة من المراهقين الأسوياء والجانحين في البحرين على أن المراهقين الأسوياء بين سن ١٢ و ١٨ سنة يقعون بشكل أساسي في المرحلة الثالثة والمرحلة الانتقالية ٣/ ٤. كما تشير نتائج دراسة محمد (١٩٨٥) على عينة مصرية من ٨٠ طفلا ومراهقا من الجنسين بين سن ٧ إلى ١٤ سنه إلى أن أفراد العينة وقعوا في المراحل الثلاث الأولى، وأن أيا منهم لم يتعدى المرحلة الثالثة. كما وجدت قناوي (١٩٨٧) في دراستها لنمو التفكير الأخلاقي لدى عينتين من الأطفال والمراهقين من الجنسين بين سن ٨ و ١٥ سنة من البحرين ومصر أن أفراد العينتين يقعون بين المرحلة الأولى والخامسة إلا أن

الغالبية العظمى من الأفراد كانت في المرحلة الثانية والثالثة، كما أن للعمر أثـر دال إحصائيا بصفة عامة عند ٠,٠١ .

وفي دراسة الشيخ (١٩٨٣، ١٩٨٥) على عينة من ٢٣٣ طالب و طالبـة من المراحل التعليمية المختلفة من الإعدادية إلى الجامعة فما فوق، وجد أن الأفـراد يقعون في المستوى التقليدي أي بين المرحلة الثالثة والرابعة مشيرا إلى توقف نمـو التفكير الأخلاقي مع نهاية المراهقة حيث لم يجد فروقا ذات دلالة بيـن المراهقيـن والراشدين في التفكير الأخلاقي. كما وجدت الخليفي (١٩٨٧) في دراسـتها لنمـو التفكير الأخلاقي على عينة قطرية من ٤٥٦ من الجنسين فـي الصفـوف الرابـع والسادس والثالث المتوسط والثالث الثـانوي وطـلاب الجامعـة ومجموعـة مـن الخريجين والأمهات ارتباطا دالا بين العمر ومسـتوى التفكـير الأخلاقـي، كمـا وجدت أن الأطفال وغالبية الأفراد في المراهقة المبكرة يقعون بشكل أساسي فـي المرحلة الثانية، وتنتهي هذه المرحلة تماما عند الأفراد في سن ١٧ سنة، في حيـن يقع المراهقون في المراهقة المتوسطة والمتأخرة وأيضا الشباب فـي العشـرينات (٢٠-٣٠) في المرحلة الثالثة بشكل أساسي. كما وجدت الباحثة أن المرحلة الرابعة لا تظهر قبل سن السابعة عشر. كما وجد بوحمامة (١٩٨٩) فـي دراسـته علـى عينة من ١٠٠ طالب وطالبة من طلاب علم النفس بجامعة وهران بـالجزائر بيـن سن ١٩ سنة و ٢٤ سنة أن المرحلة الرابعة إجمالا مرحلة منوالية للتفكير الأخلاقـي بين أفراد.

وعلى المستوى المحلى ركز الباحثون في مجال نمـو التفكـير الأخلاقـي على كشف الفروق بين عينات مختلفة أو العلاقة بين مستوى النمـو فـي التفكـير الأخلاقي وبعض المتغيرات الأخرى مهملين بذلك كشف طبيعة ومسار نمو التفكـير الأخلاقي خلال مراحل النمو المختلفة. إضافة إلى ذلك فقد انتهت الدراسات إلـى نتائج على درجة من التضارب سواء كان ذلك على عينات المراهقين أو الشـباب. فعلى مستوى المراهقين، وجد خان (١٤١٢) في دراسته على عينة من ٢٠١ مـن طلاب وطالبات المرحلة الثانوية بالمنطقة الغربية من المملكة العربيـة السـعودية بمتوسط أعمار يساوي ١٧,٣٤ سنه أن غالبية الطلاب يقعون في المرحلة الرابعـة من مراحل التفكير الأخلاقي. وعلى النقيض تماما يؤكد علي (١٤١٦) في دراسـته للنمو المعرفي والأخلاقي لعينة من الطلاب الذكور من الصف السادس إلى الصـف الثالث الثانوي بنفس المنطقة تدني نمو التفكير الأخلاقي لـدى المراهقيـن، حيـث تشير النتائج إلى عدم تجاوز أكثر من ٩٠% من الأفراد لأخلاقيات ما قبل العـرف (المرحلة الثانية فأقل)، حيث يقع ١٤% منـهم فـي المرحلـة الأولـى والمرحلـة

الانتقالية بين الأولى والثانية (١/ ٢ و ٢/ ١)، و يقع ٤٣% منهم في المرحلة الثانية، و ٣٣% في المرحلة الانتقالية بين الثانية والثالثة (٢/ ٣ و ٣/ ٢). هذا يعني أن أقل من ١٠% تمكنوا من تحقيق أخلاقيات العرف (المرحلة الثالثة إلى الرابعة). وعلى العكس من الدراستين السابقتين وجد الغامدي (١٤١٨) في دراسته لنمو التفكير الأخلاقي لدى عينة من الجانحين وغير الجانحين من طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية في المنطقة الغربية بالمملكة العربية السعودية أن المرحلة الثالثة مرحلة منوالية للأسوياء بين سن ١٣ وسن ١٨ سنة.

وعلى مستوى الراشدين توصل الباحثون إلى نتائج أقل تناقضا حيث تشير نتائجها إجمالا إلى وقوع الشباب بين الثالثة والرابعة وهو ما يتفق مع غالبية الدراسات العبر ثقافية. فعلى سبيل المثال وجد القاطعي AL-Quatee (1986) في دراسته لنمو التفكير الأخلاقي في علاقته ببعض متغيرات الشخصية على عينة من الطلاب الذكور في بعض جامعات المملكة أن المرحلة الثالثة مرحلة منوالية لطلاب السنة الرابعة بالجامعة حيث يقع ٧٤%من أفراد العينة في هذه المرحلة، في حين يقع ١٩% منهم في المرحلة الرابعة، أما النسبة الباقية والتي تساوي ٧% فتتوزع بين المرحلة الأولى (٠,٦%)، والثانية (٣%)، والخامسة (٤%). كما تشير نتائج دراسة الغامدي AL-Ghamdi (1994) لنمو التفكير الأخلاقي و نمو الأنا لدى عينة من طلاب وطالبات جامعة أم القرى في السنتين الثالثة والرابعة بين سن ٢٠ و ٢٦ سنة، إلى منوالية المرحلة ٣ /٤ لأفراد العينة، حيث يقع ٥٨% من أفراد العينة في هذه المرحلة وأيضا ١٥% في المرحلة ٤/ ٣ . هذا يعني أن ٧٣% من مجموع الأفراد يقعون في مرحلة وسط بين المرحلة الثالثة والرابعة في حين يقع ٢٥% منهم في المرحلة الثالثة، واقل من ٢% في المرحلة الرابعة. وعلى النقيض من نتائج الدراسات السابقة وجد حميد (١٤٠٨) أن المرحلة الرابعة تمثل مرحلة منوالية للتفكير الأخلاقي تبعا لمقياس لعينة من ٢١٩ طالبا وطالبة من جامعة أم القرى من السنوات المختلفة. كما أشار إسماعيل (علي، ١٤١٦) في دراسته على عينة من السعوديين والأمريكيين إلى ميل السعوديين للوقوع في المرحلة الرابعة في حين يميل الأمريكيون إلى الوقوع في الخامسة. ومع ذلك فإن نتائج الاختبار لا تتفق مع كثير من نتائج الدراسات الرائدة التي سبق الإشارة إليها على عينات أمريكية إذ وجد كولبرج وغيره أن المرحلة المنوالية في هذه السن تميل إلى أن تكون ٣/ ٤.

ومن خلال الدراسات السابقة إجمالا يمكن الخروج بالرؤية التالية عن طبيعة نمو التفكير الأخلاقي في المراهقة والرشد.

- وجدت كثير من الدراسات الرائدة مصداقية عالمية لنظرية كولبرج في نمو التفكير الأخلاقي، حيث أكدت تتابع مراحل التفكير الأخلاقي تبعا لنفس التسلسل المحدد في نظرية كولبرج.
- بالرغم من تشابه مستويات النمو في أغلب الثقافات المتقدمة فإن أثر الفروق الثقافية يبقى واضحا لصالح الأكثر تطورا وللطبقات المتوسطة وسكان المدن.
- بالرغم من الاعتراف بوجود الفروق الثقافية فإن بعض هذه الفروق ترجع إلى مشكلات منهجية أكثر منها إلى فروق ثقافية. خاصة وأن بعض هذه النتائج المتطرفة وجدت في ثقافات مختلفة من نفس الباحثين وهذا يدعم احتمال وجود أخطاء منهجية ترتبط بموضوعية الباحث أو مصداقية التقييم .
- وبتجاهل العدد المحدود من الدراسات التي وصلت إلى نتائج متطرفة فإنه يمكن القول أن المراهقين بصفة عامة يقعون بين المرحلة الثانية/الثالثة والمرحلة والرابعة ، حيث تمثل المرحلة الثالثة مرحلة منوالية بالنسبة للمراهقين على وجه العموم، في حين تمثل المرحلة الثالثة والمرحلة ٣/ ٤ مرحلتين منوالية للشباب فوق سن ١٨ وتختلف سيطرة أي منهما من ثقافة إلى أخرى.
- ركزت الدراسات العربية والمحلية على وجه الخصوص على العلاقة بين نمو التفكير الأخلاقي وغيره من المتغيرات الأخرى. إلا أن الاهتمام أو التركيز على تتبع طبيعة ومسار النمو خلال مراحل العمر المختلفة يكاد يكون مفقودا. كما لا تخلو النتائج من الاختلاف الذي يمكن أن يكون مرتبطا بالفروق الثقافية من جانب وربما بالمشكلات المنهجية من جانب آخر. هذا القول ينسحب على الدراسات المحلية التي أهملت إجمالا التركيز على طبيعة مسار نمو التفكير الأخلاقي خلال مراحل النمو المختلفة فضلا عن تناقض النتائج على العينات المتشابهة والتي تعطي مبررا قويا لإجراء هذه الدراسة.

رابعا: منهج وإجراءات الدراسة

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة الحالية على المنهج الوصفي من جانب لكشف طبيعة تطور نمو التفكير الأخلاقي لدى الأفراد خلال مراحل النمو العمرية المختلفة لأفراد العينة. كما تعتمد على المنهج السببي المقارن لتحديد مدى دلالة الفروق الإحصائية في التفكير الأخلاقي بين أفراد العينة من أعمار مختلفة. إضافة إلى ذلك فإنها تعتمد على المنهج التحليلي المقارن لتحديد أثر الخصوصية الثقافية للمجتمع السعودي

على نمو التفكير الأخلاقي لأفراده وذلك من خلال لمقارنة النتائج بنتـــائج دراســة كولبرج الطولية بصفة أساسية وغيرها من الدراسات الرائدة بصورة ثانوية.

مجتمع و عينة البحث:

يمثل مجتمع البحث المراهقين والشباب والراشدين الذكور بين ســـن ١٣ و ٤٥ سنة في المنطقة الغربية بالمملكة العربية السعودية. ولقد تم اختيار عينة البحـث من المدارس المتوسطة والثانوية وفقا لأسلوب الاختيار العنقودي حيث اختير عـدد من المدارس المتوسطة والثانوية بطريقة عشوائية ثم اختير عـــدد مـــن الصفـوف الدراسية من كل مستوى بطريقة عشوائية. و بالنسبة لعينة الطلاب بالجامعـــة فقـد اختيروا من طلاب مواد الإعداد التربوي بجامعة أم القرى كون هذه المـــواد تقـدم للطلاب بغالبية الأقسام. كما اختيرت عينة العاملين من المدرســين فـي المنطقـة الغربية. وبعد حذف الاستجابات الناقصة أو غير الصالحة وفقا لمعايير الحذف فـي المقياس المتبع شملت عينة البحث النهائية ٥٠٢ فردا مـــن أعمـــار مختلفـة تبعـا للتوزيع كما هو مبين في الجدول التالي (رقم ١):

جدول رقم (١): توزيع عينة الدراسة تبعا للمرحل العمرية والمراحل الدراسية

الصف / العمر	١	٢	٣	١	٢	٣	١	٢	٣	٤	خريجون	مجموع
١٣- ١٤	٤٥	٢٧										٧٢
١٥-١٦	٩	٤٥	٤٥	١٣								١١٢
١٧-١٨		١٠	٢٥	٢٠	٢٦	٢٨						١٠٩
١٩-٢٠					٥	١٩	٢١	١٦				٦١
٢١-٢٢							١٧	٢٣	١٧	١٦		٧٣
٢٣-٢٤										١٦	٢٦	٤٢
٢٥-٤٠											٣٣	٣٣
مجموع	٥٤	٨٢	٧٠	٣٣	٣١	٤٧	٣٨	٣٩	١٧	٣٢	٣٣	٥٠٢

أداة البحث:

تم استخدام مقياس التفكير الأخلاقي الموضوعي Sociomoral Reflection Objective Measure (SROM) في هذه الدراسة. و يتكون المقياس والذي أعـــده قبس Gibbs لقياس نمو التفكير الأخلاقي وفقا لنظرية كولبرج من قصتيـــن تضـــع كل منهما المختبر أمام أزمة أو قضية تستثير حكمـــا أو اختيـــارا أخلاقيـــا، تتبـــع

بمجموعة من الاستجابات التي تدور حول عدد من المعايير الأخلاقية هي العقد والحقيقة (الصدق) Contract and truth، الانتماء Affiliation، الحياة life، الملكية والقانون Property & Law ، العدالة القانونية Legal Justice . ويتم تصحيح الاختبار بتقييم الاستجابات (التبريرات) الأخلاقية المختارة من قبل المفحوص، حيث يعطي تقييما يقع بين ١٠٠ و ٥٠٠ درجة تمثل مراحل نمو التفكير الأخلاقي الخمس الأولى (Gibbs, 1984a, 1984b; Gibbs et al., 1984).

و يتمتع الاختبار في نسخته الأصلية بدرجة مقبولة من الصدق و الثبات. حيث تحصل قبس و رفاقه Gibbs et al. (1984) على معامل ثبات يساوي ٠,٨٠ عن طريق إعادة الاختبار. كما تحصل على معامل صدق تلازمي Concurrent validity يساوي ٠,٦٨ مع مقياس كولبرج للحكم الأخلاقي، و ٠,٧٠ مع مقياس قبس للتفكير الأخلاقي (SRM).

وفي العالم العربي تحصل عبدالرحمن ومحمد (١٩٩١) على معامل ثبات يساوي ٠,٨٩ عن طريق إعادة تطبيق الاختبار، ومعامل اتساق بين ٠,٨٧ وذلك بالتطبيق على عينة مصرية. كما تحصل على معامل للصدق التلازمي يساوي ٠,٨٦ باستخدام مقياس كولبرج و ٠,٨٩ باستخدام مقياس رست.

وعلى المستوى المحلى تحصل القاطعي AL-Quatee (1986) في دراسته على عينة من طلاب الجامعات على معامل للاتساق الداخلي يساوي ٠,٧٩ كما أظهرت الدراسة مؤشرات للصدق التقاربي Convergent Validity من خلال وجود علاقة سلبية بين التعصب والتفكير الأخلاقي وعلاقة إيجابية بين نمو الأنا و نمو التفكير الأخلاقي. كما وجد علي (١٤١٨) علاقة دالة بين الدرجات المتحصل عليها باستخدام المقياس ودرجات النمو المعرفي على عينة من المراهقين في المنطقة الغربية. وعلى خلاف ما يراه قبس ومعاونيه Gibbs et al. (1994, 1984) تدل نتائج دراسة الغامدي (1419) على الصدق التمييزي Discreminant Validity للاختبار حيث وجد فروقا ذات دلالة إحصائية بين الجانحين وغير الجانحين في مستويات التفكير الأخلاقي باستخدام المقياس في صورته المعدة لهذه الدراسة.

وللتحقق من الثبات في الدراسة الحالية أعيد الاختبار على عينة من ٣٠ من طلاب المرحلة الثانوية و الجامعة وتم الحصول على معامل ثبات يساوي٠,٨٢، ومعامل اتساق ٠,٧٧. وفي محاولة لحساب الصدق التلازمي في هذه الدراسة تم حساب الارتباط بين درجات عينة من ٣٠ من طلاب السنة الثالثة والرابعة بالجامعة المتحصلة باستخدام المقياس ودرجاتهم المتحصلة على مقياس

التفكير الأخلاقي- النموذج القصير Sociomoral Reflection Measure-Short Form (SRM-SF) تم الحصول على معامل ارتباط ٠,٧٣وهو دال عند ٠,٠٠١ إحصائيا.

خامسا: نتائج الدراسة :

انسجاما مع أهداف الدراسة وتساؤلاتها المتمثلة في محاولة وصف طبيعة نمو التفكير الأخلاقي لعينة من الذكور بين سن ١٣ و ٤٥ سنه بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية، و مدى دلالة التغير في مستويات النمو خلال مراحل العمر المختلفة، و أخيرا مدى تأثر نمو هذا الجانب من التفكير الاجتماعي بالخصوصية الثقافية للمجتمع السعودي، فسوف تعرض النتائج الوصفية أولا للوقوف على طبيعة النمو، وذلك بتحليل البيانات الممثلة في الجدول رقم (٢) تحليلا وصفيا. بعد ذلك سيتم إجراء مجموعة من التحليلات الاستدلالية لكل من درجات ومراحل نمو التفكير الأخلاقي لتحديد مدى دلالة الفروق بين المجموعات المختلفة من أعمار مختلفة في هذا الجانب من جوانب النمو. إضافة إلى ذلك فسوف تتم مقارنة ما يتم التوصل إليه من نتائج بنتائج بعض الدراسات الرائدة كدراسة كولبرج الطولية، و ذلك بهدف تكوين صورة افضل عن نمو التفكير الأخلاقي لدى السعوديين من وجهة النظر الثقافية.

جدول (٢) : مصفوفة تظهر انتشار أفراد العينة من مراحل أخلاقية و عمرية مختلفة

مراحل عمرية		٢	مجموع ٢/ ٣و ٣/ ٢			٣	مجموع ٣/ ٤ و ٤/ ٣			٤	مجموع
			٢/ ٣	٣/ ٢	مجموع		٤/ ٣	٣/ ٤	مجموع		
١٣-١٤	عدد	٨	٦	٩	١٥	٣٦	٩	٣	١٢	١	٧٢
	نسبة	١١,١	٨,٣	١٢,٥	٢٠,٨	٥٠	١٢,٥	٤,٣	١٦,٨	١,٤	%١٠٠
١٥-١٦	عدد	٤	٧	٢٠	٢٧	٥٤	١٦	٩	٢٥	٢	١١٢
	نسبة	٣,٦	٦,٣	١٧,٩	٢٤,٢	٤٨,٢	١٤.٣	٨	٢٢,٣	١,٨	%١٠٠
١٧-١٨	عدد	٢	٤	١٤	١٨	٤٨	٢٢	١٢	٣٤	٧	١٠٩
	نسبة	١,٨	٣,٧	١٢,٨	١٦,٥	٤٤	٢٠,٢	١١	٣١,٢	٦,٤	%١٠٠
١٩-٢٠	عدد		١	٥	٦	٢٣	٢٣	٥	٢٨	٤	٦١
	نسبة		١,٦	٨,٢	٩,٨	٣٧,٧	٣٧,٧	٨,٢	٤٥,٩	٦,٦	%١٠٠
٢١-٢٢	عدد			٢	٢	٢٧	١٣	١٧	٣٠	١٤	٧٣
	نسبة			٢,٧	٢,٧	٣٧	١٧,٨	٢٣,٣	٤١,١	١٩,٢	%١٠٠
٢٣-٢٤	عدد					١٥	١١	٧	١٨	٩	٤٢
	نسبة					٣٥,٧	٢٦,٢	١٦,٧	٤٢,٩	٢١,٤	%١٠٠
٢٥-٤٥	عدد					١١	٨	٥	١٣	٩	٣٣
	نسبة					٣٣,٣	٢٤,٢	١٥,٢	٣٩,٤	٢٧,٣	%١٠٠
مجموع	عدد	١٤	١٨	٥٠	٦٨	٢١٤	١٠٢	٥٨	١٦٠	٤٦	٥٠٢
	نسبة	٢,٨	٣,٦	١٠	١٣,٦	٤٢,٦	٢٠,٣	١١,٣	٣١,٦	٩,٢	%١٠٠

أولا:طبيعة توزيع مراحل نمو التفكير الأخلاقي لدى أفراد العينة بين عمر ١٣-٤٥ سنة:

من خلال قراءة النتائج الوصفية الموضحة في الجدول (٢) اتضح أن أفراد العينة الكلية يقعون بين المرحلة الثانية (أخلاقيات الفردية والغائية النفعية وتبادل المصالح) والمرحلة الرابعة (أخلاقيات النظام الاجتماعي والضمير). كما يوضح الرسم البياني رقم (٤) طبيعة هذا الانتشار حيث يظهر درجة بسيطة من الالتواء السلبي لمنحنى التوزيع نتيجة لارتفاع عدد المحققين للمراحل الثالثة فما فوق، فالبرغم من منوالية المرحلة الثالثة (أخلاقيات التوقعات والعلاقات المتبادلة والمسايرة) والتي حققها ٤٢,٦% من أفراد العينة، فقد تجاوزها ٤٠,٨% من مجموع أفراد العينة، حيث حقق ٣١,٦% منهم المرحلة الانتقالية بين المرحلة الثالثة والرابعة (٣/ ٤ و ٤/ ٣)، كما حقق ٩,٢% منهم المرحلة الرابعة. في المقابل أظهرت نسبة أقل من أفراد العينة (١٦,٤%) تأخرا في نمو التفكير الأخلاقي، حيث توقف ١٣,٦% من الأفراد عند المرحلة الانتقالية بين المرحلة الثانية والثالثة (٢/ ٣ و ٣/ ٢) مع ميل للوقوع في المرحلة الأعلى. في حين توقفت نسبة ضئيلة منهم لا تتعدى ٢,٨% عند المرحلة الثانية (أخلاقية المنفعة).

رسم بياني (٤) : انتشار أفراد العينة على مراحل نمو التفكير الأخلاقي:

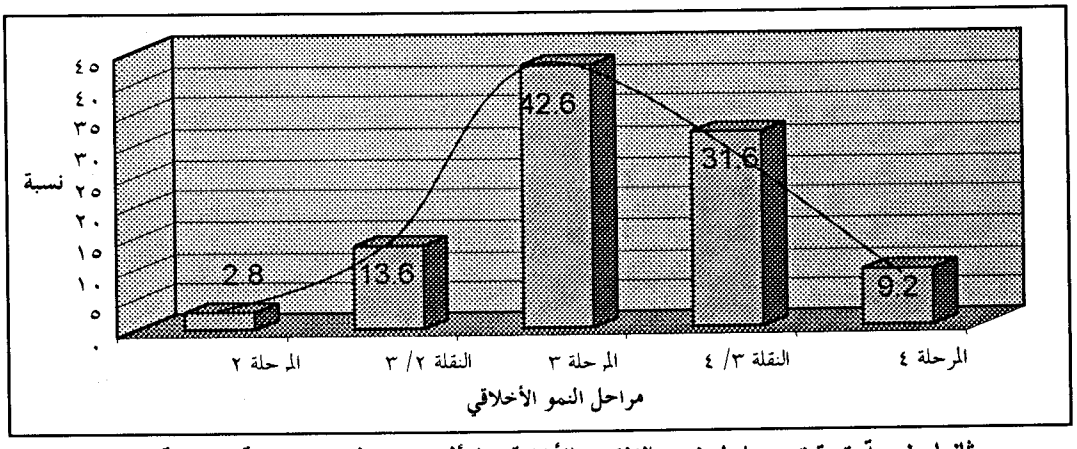

ثانيا: نسبة تحقيق مراحل نمو التفكير الأخلاقي للأفراد من فئات عمرية مختلفة:

تظهر البيانات في الجدول (٢) والممثلة أيضا في الرسم البياني(٥: أ – ز) اختلاف طبيعة نمو التفكير الأخلاقي في المراحل العمرية المختلفة، إذ ترتفع تدريجيا نسبة تحقيق المراحل الأعلى مع التقدم في العمر مما يؤكد مصداقية التتابع المرحلي لنمو التفكير الأخلاقي كما حدده كولبرج و صلاحيته كأساس لتفسير نمو

التفكير الأخلاقي لدى السعوديين. ويمكن وصف طبيعة النمو في الفئات العمرية المحددة في هذه الدراسة فيما يلي:

١. نمو التفكير الأخلاقي في الفترة العمرية ١٣-١٤ سنه: يتسم تحقيق الأفراد لمراحل التفكير الأخلاقي المختلفة من الثانية إلى الرابعة بالاعتدال مع ميل للالتواء الإيجابي البسيط كما يظهر الرسم البياني (٥-أ)، حيث تمثل المرحلة الثالثة مرحلة منوالية، في حين تنخفض نسبة من يقع في المراحل المتناظرة في طرفي المنحنى مع البعد عن الوسط مع ارتفاع طفيف في نسبة من يقع في ٢/ ٣ مقارنة بالمرحلة ٣/ ٤، وأيضا في المرحلة الثانية مقارنة بمن يقع في المرحلة الرابعة.

٢. نمو التفكير الأخلاقي في الفترة العمرية ١٥-١٦ سنة: يقترب التوزيع في هذا السن كما يظهر من الرسم البياني (٥-ب) من الاعتدال ، حيث تستمر منوالية المرحلة الثالثة، وتقترب نسب تحقيق المراحل المتناظرة في طرفي المنحنى من التساوي، حيث ترتفع نسبة من يقع في المرحلة ٣/٢ والمرحلة ٣/ ٤ وبشكل يكاد يكون متساويا كنتيجة لانتقال الأفراد من المراحل الأدنى إلى مراحل أعلى، ويقابل ذلك بانخفاض نسب من يقع في المرحلة الثانية والثالثة في سن ١٥-١٦ سنة مقارنة بمن يقع فيها في سن ١٣ وسن ١٦سنة.

٣. نمو التفكير الأخلاقي في الفترة العمرية ١٧- ١٨ سنه: تزداد نسبة التحول إلى المراحل العليا في هذا السن، وهذا ما تؤكده البيانات في الجدول (٢) و أيضا بدء الالتواء السلبي لمنحنى التوزيع كما هو واضح في الرسم البياني (٥-ج) . فالبرغم من بقاء المرحلة الثالثة مرحلة منوالية في هذا العمر، فإن هناك انخفاض في نسب من يحقق المرحلة الثانية والمرحلة الانتقالية بين الثانية والثالثة (٣/٢ و ٢/٣)، وارتفاع نسبة من يحقق المرحلة الانتقالية ٣/ ٤ بدرجة أساسية والمرحلة الرابعة بدرجة أقل. وهذا في الواقع مؤشرا للانتقال الأفراد بشكل أساسي من المرحلة الثالثة إلى المرحلة الانتقالية بين الثالثة والرابعة (٣/ ٤ و ٤/ ٣) يعوض بانتقال نسبة أقل من المراحل الأدنى إلى المرحلة الثالثة، و هذا ما يظهره الانخفاض البسيط في نسبة ممن يبقى في المرحلة الثالثة.

٤. نمو التفكير الأخلاقي خلال الشباب والرشد (١٩-فأكثر): يتسارع نمو التفكير الأخلاقي مع بداية سن ١٩ سنة بشكل جوهري حيث يزداد التحول إلى المراحل الأعلى بدرجة تجعل من المرحلة الانتقالية بين الثالثة والرابعة (٣/ ٤ و ٤/ ٣) مرحلة منوالية. يستمر هذا التزايد بشكل أقل تسارعا مع الدخول إلى مرحلة الشباب كنتيجة لانتقال الأفراد من المرحلة الثانية والتي تنتهي بسن ١٩ والمرحلة ٢/ ٣ والتي تنتهي عند سن٢٣ سنة. هذا ما يتضح من الرسم البياني (٥: د - ز)، والذي يظهر تزايدا تدريجيا في درجة الالتواء السلبي لمنحنى التوزيع. إلا أنه بالرغم من

التزايد في أعداد المحققين للمرحلة الرابعة فإن المرحلة ٣/ ٤ تبقى مرحلة منوالية بعد سن ١٩ سنه.

رسم بياني(٥):نسبة تحقيق مراحل التفكير الأخلاقي لأفرادالعينة من مراحل عمرية مختلفة :

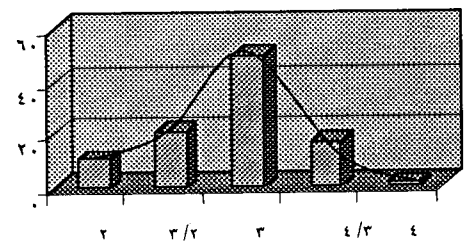

٥-أ: مراحل النمو الأخلاقي في سن ١٣-١٤ سنه

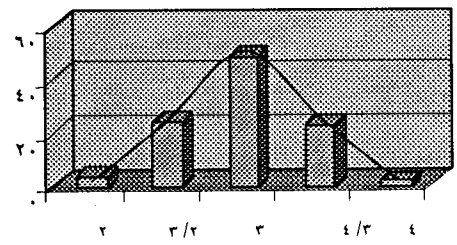

٥-ب: مراحل النمو الأخلاقي في سن ١٥-١٦سنه

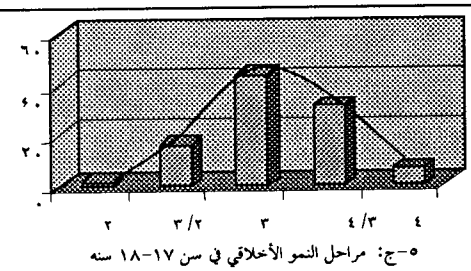

٥-ج: مراحل النمو الأخلاقي في سن ١٧-١٨ سنه

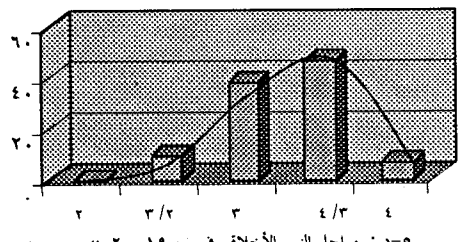

٥-د : مراحل النمو الأخلاقي في سن ١٩-٢٠سنه

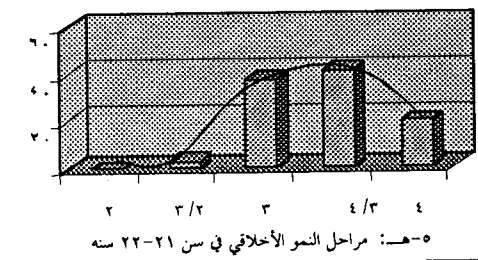

٥-هـ: مراحل النمو الأخلاقي في سن ٢١-٢٢ سنه

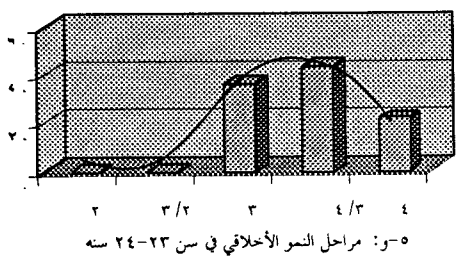

٥-و: مراحل النمو الأخلاقي في سن ٢٣-٢٤ سنه

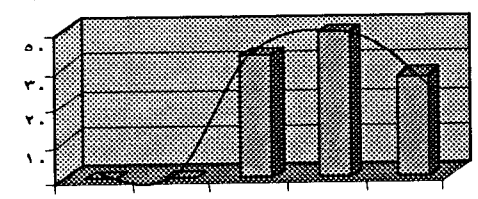

٥-ز: مراحل النمو الأخلاقي في سن ٢٥-٤٥ سنه

ثالثا: طبيعة مسارات مراحل نمو التفكير الأخلاقي تبعا لمراحل العمر :

بالرغم من تقديم المعلومات السابقة لتفصيلات مهمة عن طبيعة نمو التفكير الأخلاقي خلال مراحل العمر المختلفة، فإن الصورة لا تكتمل إلا بأخذ طبيعة التغير في كل مرحلة من مراحل نمو التفكير الأخلاقي نفسها خلال مراحل العمر المختلفة في الاعتبار. وبتحليل مسارات التغير لكل مرحلة من هذه المراحل، كما هو واضح في الرسم البياني (٦) يتضح دعم النتائج لتتابع مراحل النمو كما حددها كولبرج (رسم بياني ٢)، إذ تظهر النتائج ارتباط الخروج من المراحل الأدنى وزيادة الدخول في المراحل الأعلى مع التقدم في العمر، ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

١. **المرحلة الثانية**: على خلاف ما تؤكده دراسة علي (١٤١٨) من منوالية المرحلة الثانية، تظهر البيانات في هذه الدراسة تسارع انتقال المراهقين من المرحلة الثانية إلى المراحل الأعلى في سن مبكرة من المراهقة حيث لا تتعدى نسبة من يقع فيها ١١,١% عند سن ١٣-١٤ سنة. يتسارع انخفاضها لتصبح ٣,٦% عند سن ١٥-١٦ سنه، و ١,٨% فقط عند سن ١٦-١٧ سنه وبهذا ينتهي ظهورها.

٢. **المرحلة الانتقالية بين الثانية والثالثة (٢/ ٣ و ٣/ ٢)** : بالرغم من ارتفاع نسبة من يقع في هذه المرحلة في بدايات المراهقة مقارنة بالمرحلة السابقة وهو ما يؤكد مصداقية تتابع المراحل، تؤكد النتائج قلة من يقع فيها إجمالا مقارنة بما وجده علي (١٤١٨) حيث لا تتعدى هذه النسبة ٢٠,٨% عند سن ١٣-١٤ سنة ، و ٢٤,٢ % عند سن ١٥-١٦ سنة. يتسارع خروج الأفراد منها بعد ذلك لتصل نسبة من يتبقى فيها ٢,٧% فقط عند سن ١٢-٢٢ سنه .

٣. **المرحلة الثالثة**: يتمكن غالبية المراهقين بين سن ١٣-١٧ سنة من تحقيق هذه المرحلة حيث يقع فيها حوالي ٤٠% من الأفراد عند سن ١٣ سنة و حوالي ٥٠% منهم عند سن ١٧ سنة مما يجعل منها مرحلة منوالية في هذا السن وهذا ما سبق أن أكدته دراسة الغامدي (١٤١٩). وبالرغم من بقاء نسبة كبيرة من الأفراد في هذا المرحلة خلال المراهقة المتأخرة والشباب والرشد فإن انتقال نسبة من الأفراد من هذه المرحلة إلى مراحل أعلى من جانب، و انخفاض نسبة من يتحول إليها من مراحل أدنى من جانب آخر يؤدي انخفاض مستمر في من يبقى فيها بعد سن ١٩ سنة مما يفقدها سيطرتها كمرحلة منوالية.

٤. **المرحلة الانتقالية بين الثالثة والرابعة (٣/ ٤ و ٤/ ٣)**: بالرغم من انخفاض نسبة من يحقق هذه المرحلة في بدايات المراهقة حيث لا تتجاوز ١٧% عند سن

١٣-١٤ سنه، فإن نسبة تحقيقها تتسارع مع نهايات المراهقة لتصبح مرحلة منوالية عند سن ١٩-٢٠سنه إذ يحققها ٤٥,٩% من مجموع الأفراد عند هذا السن، وتبقى ثابتة تقريبا بعد هذا السن. يتزامن ذلك مع انخفاض في عدد الأفراد في المرحلة الثالثة والمرحلة الانتقالية ٢/ ٣، مما يعني انتقال بعض الأفراد في هذه المراحل إلى مراحل أعلى.

٥. المرحلة الرابعة: على عكس ما يؤكده خان (١٤١٢) من منوالية المرحلة الرابعة في سن المراهقة و ما يؤكده حميد من منواليتها في مرحلة الشباب، تتمكن نسبة ضئيلة من المراهقين إجمالا من تحقيق هذه المرحلة حيث لا تتجاوز نسبة من يحققها ١,٤% عند سن ١٣-١٦ سنه و ٦,٥٩% عند سن ١٩-٢٠ سنة. يتسارع تحقيقها مع بدايات الشباب لتصل نسبة من يحققها إلى ١٩,٢% عند سن ٢١-٢٢ سنه. يعود تحقيقها بعد ذلك إلى التباطؤ حيث لا تتعدى نسبة من يحققها ٢٧,٣% بين الأفراد في مرحلة الرشد وتحديدا بين سن ٢٥-٤٥ سنة.

رسم بياني (٦): تطور مراحل النمو (مسارات النمو) لعينة الدراسات من فئات عمرية مختلفة:

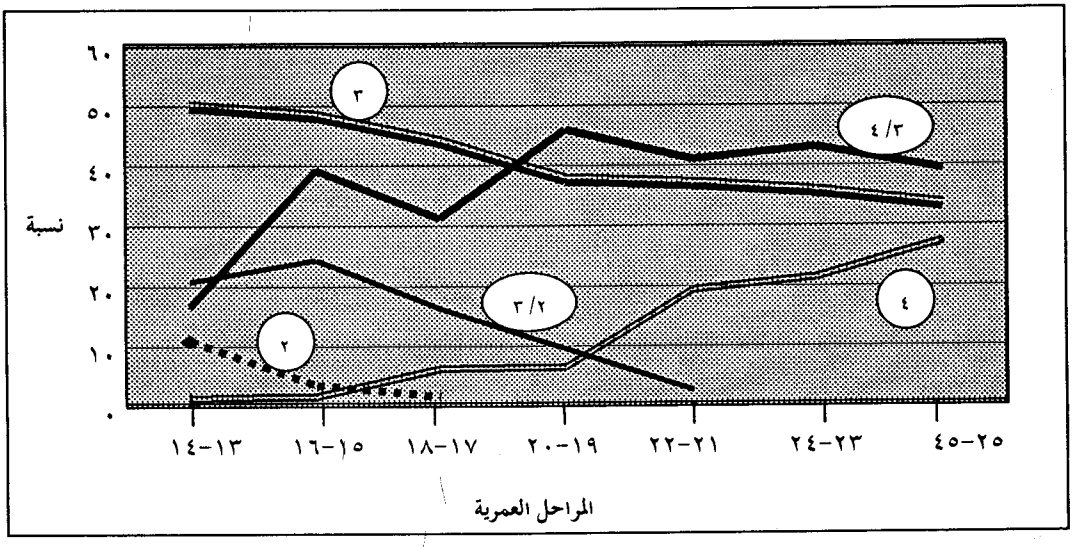

رابعا: نتائج التحليل الإحصائي الاستدلالي للفروق بين أفراد العينة من مراحل عمرية مختلفة:

للتأكد من دلالة الفروق الإحصائية بين الأفراد من فئات عمرية مختلفة في درجات و مراحل نمو التفكير الأخلاقي قام الباحث باستخدام اختبار تحليل التباين أحادى الاتجاه One Way Anova لحساب الفروق بين الأفراد من مجموعات عمرية مختلفة في درجات التفكير الأخلاقي(Scores) متبوعا باختبار توكي Tuky لتحديد مواطن هذه الفروق، كما تم استخدام اختبار كروسكال واليس Kruskal Walliss لحساب الفروق بين هذه المجموعات في مراحل التفكير الأخلاقي (Stages) متبوعا باختبار مان وتني Man Whitney U-Test لتحديد مواطن هذه الفروق بين المجموعات الثنائية وذلك لمناسبة الاختبار لمستويات القياس الرتبية. وفيما يلي النتائج الإحصائية:

دلالة الفروق العامة بين المجموعات :

جدول (٣): متوسطات درجات التفكير الأخلاقي للعينات من فئات عمرية مختلفة

المجموعة	١٣-١٤	١٥-١٦	١٧-١٨	١٩-٢٠	٢١-٢٢	٢٣-٢٤	٢٥-٤٥
متوسط الدرجات	٢٨٣,٨	٢٩٩.٥	٣١٠,٤	٣٢٢,٣	٣٣٩,٢	٣٣٧,٥	٣٤٣,٦

جدول (٤) : نتائج تحليل التباين بين المجموعات من فئات عمرية مختلفة في درجات التفكير الأخلاقي

		مجموع المربعات	درجة الحرية	المتوسط تربيع	درجة F	الدلالة
درجات	بين المجموعات	١٩٣٥٦٧,٨	٦	٣٢٢٦١,٤	٢٢,٧	٠,٠٠٠١ ***
	داخل المجموعات	٧٠٤١١٠,٤	٤٩٥	١٤٢٢,٥		
	مجموع	٨٩٧٦٧٨,٣	٥٠١			

جدول (٥): نتائج اختبار كروسكال والس للفروق بين المجموعات العمرية في مراحل التفكير الأخلاقي :

	عدد	متوسط	انحراف معياري	الحد الأدنى	الحد الأعلى	قيمة كاي تربيع	درجة الحرية	الدلالة
مراحل العمر	٥٠٢	٣,٤١٣	١,٧٧	١	٧	٩٣,٣	٦	٠,٠٠٠١ ***
مراحل الأخلاق	٥٠٢	٧,٤٥٤	١,٣٤	٤	١٠			

يظهر من نتائج التحليل الإحصائي للبيانات المتحصلة كما هو مبين في الجدول (٤) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عالية بين الأفراد من الفئات العمرية المختلفة في درجات التفكير الأخلاقي، حيث بلغت قيمة ف ٢٢.٧ وهي قيمة دالة عند مستوى الفا α ٠,٠٠٠١، كما تؤكد نتائج اختبار كروسكال واليس كما هو مبين في الجدول (٥) هذه النتيجة، حيث بلغت قيمة كاي تربيع ٩٣,٣ وهي قيمة تؤكد وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد في هذه المجموعات عند مستوى الفا α ٠,٠٠٠١.

(ب) مواطن الفروق بين المجموعات الثنائية:

جدول (٦): نتائج اختبار توكي لتحليل الفروق بين المجموعات في درجات التفكير الأخلاقي

مراحل العمر	١٤-١٣	١٦-١٥	١٨-١٧	٢٠-١٩	٢٢-٢١	٢٤-٢٣	٢٥-٤٠
١٤-١٣ سنه							
١٦-١٥ سنه	٠,٨٣						
١٨-١٧سنه	٠,٠٠٠١ *	٠,٣٢					
٢٠-١٩سنه	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٣ *	٠,٤٣				
٢٢-٢١سنه	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٠١ *	٠,١٣			
٢٤-٢٣سنه	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠١ *	٠,٤١	١		
٢٥-	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٢٧ *	٠,٠١٢٣ *	٠,٩٩	٠,٩٩٣	

جدول (٧): اختبار مان وتني لتحليل الفروق بين المجموعات في مراحل التفكير الأخلاقي

مراحل عمرية	١٤-١٣	١٦-١٥	١٨-١٧	٢٠-١٩	٢٢-٢١	٢٤-٢٣	٢٥-٤٥
١٤-١٣ سنة							
١٦-١٥ سنة	٠,١٩٣						
١٨-١٧ سنة	٠,٠٠١ *	٠,٠١٥ *					
٢٠-١٩ سنة	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٠١ *	٠,١٠٥				
٢٢-٢١ سنة	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٠١ *	٠,٠١٣ *			
٢٤-٢٣ سنة	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٠١ *	٠,٠١٧ *	٠,٨٢١		
٢٥-٤٥ سنة	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٠١ *	٠,٠٠٩ *	٠,٤٩٤	٠,٦٦٩	

تؤكد النتائج الإحصائية لتحليل اختبار توكي كما هو موضح في الجدول (٦) المستخدم لتحديد مواطن الفروق بين الأفراد من مجموعات عمرية مختلفة في درجات التفكير الأخلاقي، ونتائج اختبار مان وتني في الجدول (٧) المستخدم لتحديد مواطن الفروق بين هذه المجموعات في مراحل التفكير الأخلاقي تشابه كبيرا بين نتائج الاختبارين حيث وجد الآتي:

١. يوجد فروق دالة عند مستوى الفا α ٠,٠٠٠١ بين الأفراد من الفئة العمرية ١٣-١٤ سنة والفئات العمرية الأخرى فيما عدا الفئة العمرية التالية لها (١٥-١٦ سنة) و ذلك في درجات ومراحل التفكير الأخلاقي على حد سواء.

٢. توجد فروق دالة عند مستوى الفا α ٠,٠٠٠١ في الغالب بين الأفراد من الفئة العمرية ١٥-١٦ سنة والفئات العمرية الأخرى) في درجات ومراحل التفكير الأخلاقي على حد سواء فيما عدا الفئة العمرية التالية لها (١٧-١٨ سنة)، حيث أظهرت نتائج توكي عدم وجود دلالة بين الأفراد فيها والأفراد في الفئة ١٥-١٦ سنة، بينما أظهرت نتائج اختبار مان وايتني فروقا دالة عند مستوى الفا α ٠,٠٢. على أية حال فإن هذا الاختلاف لا يعبر من وجهة نظر الباحث عن اضطراب في النتائج بقدر ما يعبر عن التغير التدريجي، ففي حين لم تكن متوسطات الدرجات متباعدة بشكل يجعل من الفروق بينها فروقا دالة، أصبحت أكثر دلالة عند تحويلها إلى مراحل على اعتبار أن المرحلة الواحدة تشتمل على ٢٥ درجة.

٣. توجد فروق دالة عند مستوى الفا α ٠,٠٠٠١ في الغالب بين الأفراد من الفئة العمرية ١٧-١٨ سنة والفئات العمرية الأخرى فيما عدا الفئة العمرية التالية لها (١٩-٢٠ سنة) في درجات ومراحل التفكير الأخلاقي على حد سواء.

٤. تؤكد نتائج اختبار توكي استقرار نمو التفكير الأخلاقي مع بدء مرحلة الرشد ، إذ تؤكد عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد بين سن ١٩ و ٢٤ سنه. إلا أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الفا α ٠,٠١ تقريبا بين الفئة ١٩-٢٠ والفئة ٢٥- فأكثر. و تختلف نتائج اختبار مان وتني إلى درجة ما عن نتائج اختبار توكي إذ تؤكد وجود فروق دالة عند مستوى الفا α ٠,٠١ بين الأفراد في الفئة العمرية ١٩-٢٠ سنه وبقية الفئات العمرية. هذا يرجع لنفس الأسباب المذكورة آنفا في الفقرة رقم ٢، ويعتبر ذلك مؤشرا على بدء استقرار النمو.

٥. لا يوجد فروق بين الأفراد من فئات عمرية بين ٢١-٢٢ إلى ٢٥-٤٥سنه مما يؤكد استقرار النمو في هذه الفترة.

٦. يدل عدم وجود فروق بين الأفراد من مراحل عمرية متتالية خلال المراهقة ثم ظهور فروق دالة مع المراحل الأخرى، واقتصار وجود الفروق في بدايات الشباب على الأفراد في الفئة العمرية ١٩-٢٠ والفئة ٢٥-٤٥ سنة فقط ، على سير تدرجي متسارع للنمو خلال المراهقة و أقل تسارعا خلال_مرحلة الرشد.

٧. التغير إجمالا كما تدل متوسطات المجموعات في درجة التفكير الأخلاقي المرصودة في الجدول (٣) ، وأيضا مسارات التغير في مراحل نمو التفكير الأخلاقي والتي تدل على التخلص من المراحل الأدنى و تحقيق المراحل العليا مع التقدم في العمر الزمني لصالح الفئات العمرية الأعلى.

سادسا: تفسير نتائج الدراسة

(أ) تفسير النتائج في ضوء الدراسات العربية والمحلية:

من الصعوبة بمكان مقارنة نتائج الدراسة الحالية بكثير من الدراسات العربية السابقة، ذلك أن أغلبها دراسات إرتباطية أو سببية مقارنة هدفت في مجملها إلى دراسة نمو التفكير الأخلاقي في علاقته بمتغيرات شخصية أخرى على عينات من أعمار محددة أو إلى المقارنة بين عينات مستقلة متمايزة في السمات أو الظروف مركزة على حساب دلالات الارتباط بين هذه الجوانب أو الفروق بين المجموعات. قلة منها فقط هدفت إلى تتبع مراحل التفكير الأخلاقي خلال مراحل عمرية مختلفة وبمدى عمري واسع بشكل يمكن من الوصول إلى فكرة أكثر وضوحا عن تطور التفكير الأخلاقي. على أية حال فإن نتائج الدراسة تتفق نسبيا مع نتائج بعض الدراسات العربية النمائية الرائدة كدراسة الشيخ (١٩٨٣) على عينة مصرية من أعمار مختلفة من الصف الأول المتوسط إلى السنة النهائية بالجامعة، والتي تشير إلى وقوع غالبية الأفراد في هذا السن في المرحلة الثالثة والرابعة. كما تتفق نتائج الدراسة إلى درجة كبيرة مع نتائج دراسة الخليفي (١٩٨٧) على عينة قطرية من أعمار مختلفة، والتي تؤكد وقوع القطريين في سن المراهقة بشكل أساسي في المرحلة الثالثة وبشكل أقل في المرحلة الرابعة، وهذا يتفق نسبيا مع نتائج الدراسة الحالية المؤكدة لمنوالية المرحلة الثالثة خلال فترة المراهقة، كما تتفق الدراستين في موعد ظهور المرحلة الرابعة، حيث تحدده الخليفي بسن ١٧سنة، وهذا يتفق إلى درجة كبيرة مع نتائج الدراسة الحالية إذ وجد أن من يحقق المرحلة الرابعة تحت سن ١٧ سنه لا يتجاوز ١,٦% (٣ حالات من ١٨٤ فردا) من مجموع الأفراد تحت هذه السن. و بالرغم من الاختلاف الظاهري بين نتائج الدراستين في مرحلة الرشد حيث تؤكد الخليفي منوالية المرحلة الرابعة، في حين تؤكد الدراسة الحالية منوالية المرحلة الانتقالية ٣/ ٤ بالرغم من تحقيق نسبة كبيرة للمرحلة الرابعة، فإن هذا الاختلاف ناتج عن اختلاف أسلوب التقييم

حيث أن دراسة الخليفي وتبعا للمقياس المستخدم (MJI) لم تأخذ في الاعتبار المراحل الانتقالية.

وعلى المستوى المحلى تمثل الدراسة الحالية الدراسة الأولى التي تتبع منهجا نمائيا لدراسة نمو التفكير الأخلاقي، إلا أن مقارنة نتائجها بنتائج الدراسات الإرتباطية و السببية المقارنة تؤكد اضطراب نتائج البحوث المحلية في هذا المجال وخاصة تلك التي أجريت على عينات في مرحلة المراهقة. ففي حين تؤكد نتائج دراسة خان (١٤١٢) منوالية المرحلة الرابعة للمراهقين في سن ١٧ سنه في المنطقة الغربية، يؤكد علي (١٤١٦) على النقيض من ذلك منوالية المرحلة الثانية للمراهقين في المرحلة المتوسطة والثانوية في نفس المنطقة. هذه النتائج المتناقضة تختلف بطبيعة الحال عن نتائج غالبية الدراسات على المراهقين من سكان المناطق الحضرية، كما تختلف مع نتائج الدراسة الحالية. فعلى النقيض من دراسة علي (١٤١٦) تؤكد نتائج الدراسة عدم انخفاض مستوى التفكير الأخلاقي إلى هذه الدرجة المتدنية ، إذ أن نسبة من يقع في المرحلة الثانية لا يتعدى ٢,٨ % فقط، كما أن نسبة من يقع في المرحلة الانتقالية بين الثانية والثالثة (٢/ ٣ و ٣/ ٢) لا يتعدى ١٣,٦%. كما تؤكد في نفس الوقت عدم ارتقاء التفكير الأخلاقي للمراهقين إلى الدرجة التي قال بها خان (١٤١٢) حيث تؤكد الدراسة الحالية منوالية المرحلة الثالثة في هذا السن (١٧ سنة)، إذ يقع فيها ٤٤% من الأفراد، كما لا تزيد نسبة من تجاوز المرحلة الثالثة عن ٣١,٢% اغلبهم في المرحلة الانتقالية بين الثالثة والرابعة (٣/ ٤ و ٤/ ٣)، أما من حقق المرحلة الرابعة فيمثلون ٦,٤% فقط. وعلى العكس من ذلك فإن نتائج الدراسة الحالية تتفق مع نتائج الغامدي (١٤١٨) على عينة من المراهقين من طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية في نفس المنطقة وذلك بتطبيق نفس المقياس حيث تؤكد الدراستين منوالية المرحلة الثالثة للمراهقين بين سن ١٣ وسن ١٨ سنة.

وعلى مستوى الشباب تختلف أيضا نتائج الدراسة الحالية عن نتائج بعض الدراسات المحلية السابقة المتناقضة فيما بينها. ففي حين تؤكد دراسة حميد (١٤٠٨) منوالية المرحلة الرابعة لطلاب الجامعة ، وفي حين تؤكد دراسة القاطعي AL-Quatee (1986) منوالية المرحلة الثالثة لطلاب السنة الرابعة بعدد من جامعات المملكة، تؤكد الدراسة الحالية منوالية المرحلة ٣/ ٤ في مرحلة الشباب وأواسط العمر. وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة الغامدي AL-Ghamdi (1994) على عينة من طلاب وطالبات السنتين الثالثة والرابعة بجامعة أم القرى، وذلك باستخدام مقياس التفكير الأخلاقي-النموذج القصير (SROM-SF) إذ تؤكد

الدراستين منوالية المرحلة الانتقالية ٤/٣ للطلاب في هذه المرحلة. إلا أن ما يجب ملاحظته هنا هو أن جزء من الفروق بين نتائج الدراسة الحالية ودراسة الغامدي من جانب ونتائج دراسة القاطعي من جانب آخر راجع إلى تعامل الدراسة الحالية مع المرحلتين الانتقاليتين بين المرحلة الثالثة والرابعة (٣/ ٤ و ٤/ ٣) كمرحلة واحدة.

ويمكن الخلوص إلى أن هذا التناقض في نتائج الدراسات المحلية في هذا المجال من مجالات النمو مؤشر لوجود مشكلات منهجية في بعض هذه الدراسات خاصة في ظل تشابه العينات والمجال المكاني وتقارب المجال الزماني في كثير منها. ويمكن افتراض عدد من العوامل المسئولة عن هذه المشكلات وتشمل:

١. ضعف تمثيل العينات لمجتمعات الدراسة.
٢. ضعف كفاءة بعض الباحثين، خاصة وأن معظم الدراسات كانت اطروحات ماجستير.
٣. اعتماد الباحثين على مقاييس مختلفة .
٤. تقديم الاختبارات للأفراد للإجابة عليها بعيدا عن المطبقين، أو تطبيقها عن طريق أشخاص غير مدربين مما يعني عدم إيصال الإرشادات كما يجب.
٥. طول اختباري قبس الموضوعي ورست لتحديد القضايا مما يدفع للملل.
٦. عدم استشعار أفراد العينة لمسئولية البحث العلمي.

(ب) تفسير النتائج في ضوء الدراسات عبر الثقافية:

على خلاف ما هو متوقع ، فإنه بالرغم من اختلاف نتائج الدراسة الحالية عن نتائج غالبية الدراسات المحلية السابقة والمتناقضة فيما بينها أساسا، فإن نتائجها تتفق إلى درجة كبيرة مع نتائج كثير من الدراسات عبر الثقافية على عينات من الطبقات الوسطى من سكان المدن والتي تؤكد وقوع المراهقين والراشدين بين المرحلتين الثالثة والرابعة مع ميل للارتقاء فيها مع التقدم في العمر خلال المراهقة وبدايات الشباب واستقرار في النمو في مرحلة الرشد (Snarey, 1985; Snarey, 1982; Snarey et al., 1985; Vasudev, 1983; Lei and Chang, 1984;) ، وهذا قد يكون مؤشرا لمصداقية نتائج هذه الدراسة مقارنة بالدراسات المحلية السابقة. وعلى اعتبار مناقشة كثير من الدراسات السابقة لنتائجها في ضوء ما توصل إليه كولبرج في دراسته الطولية فإنها ستكون أساسا لتفسير نتائج هذه الدراسة من وجهة النظر الثقافية. ومن خلال المقارنة يمكن القول بتأكيد نتائج الدراسة الحالية لتتابع مراحل التفكير الأخلاقي كما حددها كولبرج (رسم بياني ٢)،

حيث تشير النتائج إلى تخلص أفراد العينة تدريجا ومع تقدمهم في السن من مراحل نمو التفكير الأخلاقي الأدنى وفقا لتتابعها (رسم بياني ٦). إلا أنه بالرغم من اتفاق نتائج الدراسة الحالية إلى درجة كبيرة مع ما توصل إليه كولبرج على سكان المناطق الحضرية من حيث مستويات النمو ، فإن أثر الفروق الثقافية يبقى موجودا حيث يظهر من مقارنة نتائج الدراسة بدراسة كولبرج الطولية (Colbey et al., 1983) ما يلي:

١. في حين كانت المرحلة الثانية مرحلة منوالية للأفراد في بدايات المراهقة عند سن ١٢-١٣ سنة تقريبا لدى العينة الأمريكية في دراسة كولبرج الطولية حيث يقع فيها حوالي ٥٠% من الأفراد، تؤكد الدراسة الحالية انخفاض نسبة من يقع في المرحلة الثانية والمراحل الانتقالية بين المرحلة الثانية والثالثة (٢/ ٣ و ٣/ ٢) وعدم منوالية أيا من هذه المراحل حتى في بدايات المراهقة و تحديدا عند سن ١٣-١٤ سنة، إذ لا يتجاوز مجموع من يقع في هذه المراحل مجتمعة ٣٠% عند هذا السن.

٢. بالرغم من منوالية المرحلة الثالثة عند سن ١٣-١٤ سنة تقريبا لدى العينتين السعودية والأمريكية على حد سواء، تظهر العينة السعودية تقدما بسيطا في تحقيق هذه المرحلة ، حيث حققها ٥٠% من السعوديين في مقابل ٤٥% تقريبا من الأمريكيين.

٣. في حين تستمر المرحلة الثالثة كمرحلة منوالية للعينة الأمريكية إلى سن ٢٢سنة، تصبح المرحلة الانتقالية بين المرحلة الثالثة والرابعة (٣/ ٤ و ٣/٤) مرحلة منوالية عند سن ١٨-١٩ سنة لدى العينة السعودية في هذه الدراسة.

٤. في حين كانت المرحلة الرابعة مرحلة منوالية للعينة الأمريكية للأفراد فوق سن ٢٤ سنه فإن هذه المرحلة لم تكن مرحلة منوالية للعينة السعودية في أي مرحلة عمرية. إلا أنه يجب ملاحظة اختلاف نظام التقييم إذ لم يعتمد كولبرج في دراسته الطولية المراحل الانتقالية، وعلى هذا الأساس فإنه لو تم تجميع المراحل الانتقالية إلى المراحل الأعلى منها وذلك باعتبار المراحل الانتقالية ٢/ ٣ و ٣/ ٢ كجزء من المرحلة الثالثة والمراحل الانتقالية ٣/ ٤ و ٤/ ٣ كجزء من المرحلة الرابعة فإن الصورة يمكن أن تتغير بالنسبة للمرحلة الرابعة حيث تصبح مرحلة منوالية بين سن ١٩-٢٠ سنه. و هذا يعكس تقدما طفيفا للعينة السعودية مقارنة بنتائج كولبرج في تحقيق المراحل فوق الثالثة.

٥. في حين حقق قلة من الأمريكيين في دراسة كولبرج الطولية المرحلة الخامسة لم يحقق أي فرد من أفراد العينة السعودية في هذه الدراسة هذه المرحلة المتقدمة من التفكير الأخلاقي.

هذا يعني أنه على الرغم من دعم نتائج هذه الدراسة لمصداقية نظرية كولبرج وتحديدا لمراحل نمو التفكير الأخلاقي كأساس لتفسير نمو الأحكام الأخلاقية في المجتمع السعودي، فإن أثر العوامل الثقافية يبقى واضحا، إذ تظهر النتائج فروقا ثقافية ليس فقط في المراحل العليا كما وجد سناري Snarey (1985) في مراجعته للدراسات عبر الثقافية، بل وفي المراحل الدنيا، فخلافا لما توصل إليه كولبرج يظهر أفراد العينة السعودية تقدما في تحقيق أخلاقيات العرف (المرحلة ٣ و ٤) إذ يتم تحقيقها من عدد أكبر من الأفراد في وقت أبكر مما وجده كولبرج في دراسته الطولية، إلا أن أيا منهم لا يصل إلى المرحلة الخامسة والتي حققها قلة من الأمريكيين في دراسة كولبرج الطولية.

وترجع هذه الفروق من وجهة نظر الباحث و بدرجة أساسية إلى عمليات التربية و التطبيع الاجتماعي الرسمية وغير الرسمية المنبثقة عن ثقافة المجتمع والتي تشمل بعض العناصر المختلفة والمتضادة أحيانا كقواعد الشريعة الإسلامية التي يفترض من الناحية النظرية دعمها لمراحل متقدمة من التفكير الأخلاقي ، وأعراف المجتمع التقليدي ذو الطبيعة البدوية المقدس للعلاقات القرابية والقبلية والتي تدعم أخلاقيات المرحلة الثالثة من جانب آخر، والقيم الجديدة الناتجة عن التغير الاجتماعي والاقتصادي والتفاعل الثقافي والتي أدت إلى إضعاف الروابط الاجتماعية وتأكيد الحقوق الفردية. إضافة إلى كل ذلك فإنه لا يمكن تجاهل مستوى نضج بعض جوانب الشخصية للأفراد و خاصة تلك الجوانب التي تمثل شرطا ضروريا لنمو التفكير الأخلاقي ومنها نمو الذات و النمو المعرفي (Kohlberg, 1984; Lee and Snarey, 1988). والتي تتأثر بدورها بالعوامل الثقافية السابقة الذكر.

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن منوالية المرحلة الثالثة عند سن مبكرة من المراهقة لدى السعوديين وبشكل يفوق نسبيا أقرانهم في المجتمع الأمريكي يرجع إلى دعم الثقافة بعناصرها المختلفة للغيرية الاجتماعية وتقديمها للمصلحة الاجتماعية وخاصة بين الجماعات ذات الروابط الشخصية والقرابية على العدالة أو الحقوق الفردية وذلك على العكس من الثقافة الغربية الرأسمالية التي تركز على حقوق الأفراد وحرياتهم. على أية حال فإنه بالرغم من ذلك وبالرغم من أهمية القواعد الدينية وأهمية تعليمها في مرحلة مبكرة في هذا المجتمع، والتي يفترض

أن تقود إلى المرحلة الرابعة أو أكثر من مراحل التفكير الأخلاقي فإن أثرها يبدو محدودا في مرحلة المراهقة وهذا ما تؤكده نتائج بعض الدراسات المحلية أيضا كدراسة العمري (١٤١٩) والتي تشير إلى عدم وجود علاقة بين التعليم والالتزام الديني من جانب ونمو التفكير الأخلاقي من جانب أخر لدى المراهقين. ولا شك في أن عدم تحقيق المراهقين لمرحلة التفكير المجرد والتي تعتبر شرطا لتحقيق المرحلة الرابعة سببا من أسباب عدم فاعلية التربية الدينة في رفع مستويات النمو إلى ما هو متوقع، حيث يشير الحداد (١٤٠٩) في دراسته للنمو المعرفي لدى عينة من طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية بالمنطقة الغربية بالمملكة إلى أن نسبة من حقق مرحلة التفكير المجرد لم تتجاوز ٢%، في حين توقف ٢٣% عند المرحلة الانتقالية بين التفكير العياني والتفكير المجرد، كما توقفت نسبة ٧٥% منهم عند مرحلة التفكير العياني. هذا قد يدفع المراهقين إلى تفسير القواعد الدينية بشكل يدعم تفكير المرحلة الثالثة أو أدنى نتيجة لعدم تحرر الفرد كليا من التمركز حول الذات. إضافة إلى دعم سمات النمو الشخصي في المراهقة لهذا النمط من التفكير إذ يقدس المراهق العلاقات الشخصية في هذه المرحلة، حيث يمثل التفاني كما يرى اريكسون Erikson (1950) فاعلية الأنا الأساسية في هذه المرحلة. هذا إضافة إلى أن النمو الشخصي نفسه والذي يعتبر شرطا سابقا لنمو التفكير الأخلاقي يتأثر بالعوامل الثقافية (Erikson, 1950) والنمو المعرفي الذي يعتبر شرطا ضروريا له (Loevinger, 1987) . هذا يعني باختصار أثر الثقافة بطريقة مباشرة على درجة نمو التفكير الأخلاقي أو بطريقة غير مباشرة عن طريق التأثير على متطلبات النمو السابقة له. كما لا شك في أن للأخطاء في أساليب التعليم الديني والذي يعمد إلى ربط القواعد الدينية بأخلاقيات العقاب قد يكون سببا في انخفاض درجة نمو التفكير الأخلاقي لدى بعض المراهقين خاصة في ظل الصراع القيمي الناتج عن التغير الاجتماعي والاقتصادي سببا لوقوع الأفراد في مراحل انتقالية غير واضحة.

وإذا كانت المرحلة الثالثة مرحلة متوقعة للمراهقين فإن بقاء نسبة كبيرة من الراشدين في هذه المرحلة لا يعبر عن وضع مثالي بصرف النظر عن المقارنة الثقافية والتي تظهر إجمالا تقدم العينة السعودية في تحقيق المرحلة الثالثة ثم الخروج منها، كما أن منوالية المرحلة الانتقالية بين الثالثة والرابعة (٤/٣ و ٤/٣) تدل على أثر الثقافة العرفية بشكل أساسي فدورها لا يقتصر على تشجيع الأفراد في سن مبكرة على التفكير في مستوى المرحلة الثالثة، بل ويؤثر على التفكير الأخلاقي للراشدين مضعفا بذلك أثر الدين، حيث يقع الأفراد تحت تأثير الأعراف المعززة للعلاقات القرابية والشخصية من جانب والقانون الشرعي

المعزز للعدالة الاجتماعية والفردية من جانب آخر. ويرجع ذلك من وجهة نظر الباحث إلى نفس العوامل السابقة المؤثرة في مرحلة المراهقة كأخطاء أساليب التعليم الديني المعتمدة على التلقين وعلى ربط القواعد بأخلاقيات الثواب والعقاب مع إهمال لربط ذلك بأهدافها الاجتماعية المرتبطة بالواقع بشكل واضح. إضافة إلى انخفاض مستويات النمو المعرفي والشخصي والتي تعتبر شرطا ضروريا غير كاف لنمو التفكير الأخلاقي ، وهذا ما تؤكده بعض الدراسات المحلية كدراسات المقوشي (١٤٠٩، ١٤١٢) والتي يؤكد فيها وقوع نسبة ٧٣% من طلاب الجامعة في السنة الأولى في مستوى التفكير العياني ووقوع البقية في مرحلة انتقالية بين التفكير العياني والشكلي، ووقوع ٦٥% من طلاب السنة الرابعة في مستوى التفكير العياني و ٣٥% في المرحلة الانتقالية بين التفكير العياني والشكلي.هذا يعني بطبيعة الحال عدم تحرر الراشدين كليا من خاصية التمركز حول الذات والتي لا تكتمل إلا بتحقيق مرحلة التفكير الشكلي.

وبهذا يمكن الخلوص إلى أنه وعلى الرغم من تحقيق أفراد العينة في هذه الدراسة لمراحل أخلاقية متقدمة مقارنة بأقرانهم في المجتمعات الأخرى كنتيجة لدعم الثقافة لأخلاقيات العرف بصفة عامة، فإنه يمكن القول بان عناصر الثقافة المختلفة والصراع الثقافي والقيمي وقصور التعليم وفشله في مساعدة الأفراد على الوصول إلى افضل درجات النمو المعرفي والشخصي المتوقع ما زالت أسبابا مباشرة في إعاقة الكثير من الأفراد للوصول إلى مراحل أفضل من التفكير الأخلاقي.

الخاتمة والتوصيات :

انتهت الدراسة إلى بعض النتائج المهمة، والتي تكتسب أهميتها من كونها نتاج منهج نمائي يركز بشكل أساسي على تتبع تغير ونمو التفكير الأخلاقي خلال فترة طويلة نسبيا حيث تمتد من سن ١٣ سنة إلى ٤٥ سنة. إضافة إلى تفسير نتائجها في ضوء نتائج ما أنجز من دراسات محلية سابقة من جانب ومن دراسات عبر ثقافية رائدة من جانب آخر.

و بالرغم من تأكيد نتائج الدراسة لمصداقية تتابع مراحل نمو التفكير الأخلاقي كما حددها كولبرج وصلاحيتها كأساس لتفسير تطور التفكير الأخلاقي لدى السعوديين، فإنها تظهر في الوقت نفسه وجود فروق ثقافية في مستويات التفكير الأخلاقي، حيث تشير الدراسة تقدم العينة السعودية مقارنة بالعينة الأمريكية في دراسة كولبرج الطولية في الخروج من المراحل الدنيا، وتحقيق أخلاقيات

العرف من جانب، وتأخرها في تحقيق أخلاقيات ما بعد العرف من جانب آخر (Colbey et al., 1983). ويرجع الباحث هذه الفروق إلى العناصر الثقافية في المجتمع السعودي المشجعة إلى درجة كبيرة لأخلاقيات المرحلة الثالثة في وقت مبكر، إلا أن هذا التأثير يبقى مستمرا خلال مرحلة الرشد مما يقلل من تأثير العناصر المشجعة لأخلاقيات المراحل الأعلى. هذا فضلا عن قصور الثقافة نفسها والنظام التربوي الرسمي وغير الرسمي في مساعدة الأفراد على تحقيق درجات متقدمة من النمو في الجوانب الأخرى المؤثرة على نمو التفكير الأخلاقي وعلى وجه الخصوص النمو المعرفي الذي يعتبر شرطا ضروريا غير كاف لنمو التفكير الأخلاقي.

أما على المستوى المحلي فلقد أظهرت مراجعة الدراسات السابقة تناقضا شديدا بالرغم من تشابه العينات بل والمجال المكاني والزماني في كثير منها، مما يؤكد معاناة الكثير منها من مشكلات منهجية. على أية حال فقد اتفقت نتائج الدراسة الحالية مع بعض الدراسات المحلية إلى درجة كبيرة كدراسة الغامدي (١٤١٩) على المراهقين في المنطقة الغربية، ودراسة الغامدي AL-Ghamdi (1994) . وانطلاقا من كل المعطيات السابقة توصي الدراسة بما يلي:

أولا: توصيات تتعلق بالبحث العلمي المستقبلي في مجال نمو التفكير الأخلاقي:

١. ضرورة العمل على تقنين الاختبارات الأساسية في نمو الأحكام الأخلاقية على البيئة السعودية والعمل على استخدامها في دراسات تالية وبشكل موحد للتأكد من صلاحها كأساس لقياس هذا الجانب من جوانب النمو الإنساني.
٢. إجراء مزيد من الدراسات على عينات من فئات عمرية مختلفة وخاصة في مرحلة الطفولة إلى بدايات المراهقة ومرحلة الرشد.
٣. إجراء عدد من الدراسات الهادفة إلى تحديد أثر المتغيرات الأخرى كالجنس والتعليم على طبيعة مسارات مراحل التفكير الأخلاقي خلال مراحل العمر المختلفة.
٤. العمل على دراسة العلاقة بين جوانب النمو الأخرى ونمو التفكير الأخلاقي وذلك خلال مراحل العمر المختلفة لمعرفة مدى الارتباط بين هذه الجوانب.
٥. العمل على إجراء عدد من الدراسات الثقافية خاصة في ظل وجود عينات من ثقافات مختلفة على أرض المملكة.

ثانيا: توصيات تتعلق بالتربية الأخلاقية:

١. على مؤسسات التربية والتعليم متابعة نتائج هذه الدراسات و تفعيلها كأساس لبرامج التربية الأخلاقية والقيمية.
٢. العمل على ربط التعليم الديني بالقيم الأخلاقية الاجتماعية بشكل أكبر من ربطه بأخلاقيات العقاب.
٣. عمل المؤسسات التربوية والإعلامية والاجتماعية على دعم أخلاقيات العرف المتفقة مع القواعد الشرعية، ومحاربة الأعراف الممجدة للعلاقات الشخصية على حساب القواعد والقوانين الشرعية أو الاجتماعية.
٣. انطلاقا من مبدأ أسبقية النمو الذاتي والنمو المعرفي كضرورة غير كافية لنمو التفكير الأخلاقي، فإن على مؤسسات التربية والتعليم الاهتمام بهذين الجانبين والعمل على مساعدة المراهقين والراشدين على تخطي مرحلة التفكير العياني إلى مرحلة التفكير الشكلي الذي يمثل شرطا لتحقيق أخلاقية ما بعد العرف. وأيضا على تحقيق أعلى درجات النمو الذاتي الممكنة.

المراجع

المراجع العربية :

الخليفي ، سبيكه يوسف عبدالرحمن(١٩٨٧). بعض المتغيرات المرتبطة بنمو التفكير الخلقي في المجتمع القطري. دراسة دكتوراه. كلية التربية، جامعة عين شمس. القاهرة.

أرناؤوط، سعاد محمد علي (١٩٨٥). العلاقة بين مستويات النمو المعرفي ومستويات الحكم الأخلاقي عند عينة من الأطفال الأردنيين. رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية.

الشيخ ، سليمان الخضري (١٩٨٢). البحوث النفسية في التفكير الأخلاقي. حولية كلية التربية. جامعة قطر. عدد ١.

الشيخ ، سليمان الخضري (١٩٨٣). دراسة في التفكير الخلقي للمراهقين والراشدين. القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر.

الشيخ ، سليمان الخضري (١٩٨٥). دراسة في التفكير الخلقي للمراهقين والراشدين. الكتاب السنوي في علم النفس. الجمعية المصرية للدراسات النفسية، مجلد ٤، القاهرة: الانجلو.

العمري، يحيى صمان (١٤١٩). العلاقة بين الالتزام الديني ونمو الأحكام الخلقية لدى عينة من طلاب المرحلة المتوسطة والثانوية والمعاهد العلمية بمنطقتي الباحة والمخواة. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى.

الغامدي، حميد غارس (١٤١٩). النمو الأخلاقي لدى عينة من الجانحين وغير الجانحين بالمنطقة الغربية بالمملكة العربية السعودية. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى. مكة.

المقوشي، عبدالله عبد الرحمن (١٤٠٩). قياس التفكير التجريدي وفق نظرية بياجيه و علاقته ببعض المتغيرات لدى طلاب التربية الميدانية. مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ٤.

المقوشي، عبدالله عبد الرحمن (١٤١٢). قياس التفكير التجريدي حسب نظرية بياجيه لدى الطلبة الجدد الذين التحقوا بكلية التربية - جامعة الملك سعود للعام الدراسي ١٤٠٩/١٤١٠ وعلاقته ببعض المتغيرات. مجلة جامعة الملك سعود، المجلد ٤.

بدران، أميمة (١٩٨١). مدى انطباق مراحل الحكم الأخلاقي لكولبرج على طلبة المرحلتين الابتدائية والإعدادية في الأردن. رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية. عمان.

بو حمامة، جيلالي (١٩٨٩). مستوى الحكم الأخلاقي لدى عينة من طلاب معهد علم النفس بجامعة وهران. المجلة التربوية، مجلد ٦، عدد ١.

حداد، عبدالله محمد احمد (١٤٠٩). تطور ظهور مرحلة العمليات الشكلية لدى عينة من تلاميذ المنطقة الغربية. رسالة ماجستير. جامعة أم القرى.

حميد، صالح بن عبد العزيز (١٤٠٨). مستوى الحكم الأخلاقي لدى طلاب وطالبات جامعة أم القرى. رسالة ماجستير. قسم علم النفس . جامعة أم القرى. مكة.

خان، محمد حمزة (١٤١٢). الأحكام الخلقية والقيم: دراسة مقارنة للسعوديين وغير السعوديين في مدينة جده-الجزء الغربي من المملكة العربية السعودية. مجلة جامعة أم القرى، السنة الرابعة، عدد ٦.

عبدالرحمن، محمد السيد و محمد، وعادل عبدالله (١٩٩١). اختبار النمو الأخلاقي للمراهقين والراشدين. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

علي، عمر علي (١٤١٨). العلاقة بين النمو المعرفي و النمو الأخلاقي لدى عينة من تلاميذ التعليم العام بمدينة جده. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى. مكة المكرمة.

فتحي، محمد رفقي محمد (١٩٨٣). في النمو الأخلاقي، النظرية، البحث، التطبيق. الكويت: دار القلم.

قارة، سليم محمد شريف (١٩٨٩). أثر موقع الضبط والمنبت الثقافي والمستوى الدراسي على الحكم الخلقي لدى طالبات المنازل الداخلية في الجامعة الأردنية. رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية. عمان.

قناوي، هدى محمد (١٩٨٧). دراسة مقارنة بين أطفال مصر والبحرين في النمو الخلقي. دراسات تربوية، مجلد ٢، جزء ٦، ٦٧-١٠٩. القاهرة.

محمد، عادل عبدالله (١٩٨٥). علاقة النمو المعرفي بنمو التفكير الخلقي لدى تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي. رسالة ماجستير. كلية التربية. جامعة الزقازيق. الزقازيق.

المراجع الإنجليزية :

AL-Folaij, A. A. (1991). Family conditions, ego development, and sociomoral development in juvenile delinquency. Unpublished doctoral dissertation. University of Pittsburgh.

AL-Ghamdi, H. (1994). The relationship between moral reasoning and ego development in college men and women in Saudi Arabia .Unpublished doctoral dissertation. University of Pittsburgh.

AL-Quatee, A. (1986). The relationship of dogmatism, Moral-, ego-development and sex role among college students majoring in different field in Saudi Arabia. Unpublished doctoral dissertation. University of Pittsburgh.

Chiu, L. H. (1990). A comparison of moral reasoning in American and Chinese school children. International Journal of Adolescence and Youth, 2, 185-198.

Colbey, A. Kohlberg, L., Gibbs, J. & Lieberman, M. A. (1983). Longitudinal study of moral judgment. Monographs of the Society for Research in Child Development, 48 , 1-2.

Colbey, A. & Kohlberg, L. (1987). The measurement of moral judgment. New York: Cambridge University Press.

Erikson, E. (1950-1985). Childhood and Society. New York:. Norton and Company Inc.

Gibbs, J. C. (1984 a). Instruction for use of sociomoral reflection objective measure. Unpublished manuscript. Ohio State University.

Gibbs, J. C. (1984 b).Social Reflection Questionnaire. Unpublished Manuscript. Ohio State University.

Gibbs, J. (1992). Moral Maturity: Measuring the development of socio-moral reflection. Hillsdale, N.J.: Lawrence Erlbaum Association.

Gibbs, J. C., Arnold, K.D., Morgan, R. L., Schwartz, E. S., Gavaghan, M. P., & Tappan, M. B. (1984). Construction and validation of multiple-choice measure of moral reasoning. Child Development, 55, 527-536.

Gorsuch, R. & Barnes, M. (1973). Stage of ethical reasoning and moral norms of Carib youths. Journal of Cross-Cultural Psychology, 4, 183-201.

Kohlberg, L. & Kramer (1969). Stages in development of moral thought and action. :N.Y: Holt, Rinehart and Winston.

Kohlberg, L. (1958). The development of mode of moral thinking and choice in the years of Ten to Sixteen. Unpublished doctoral dissertation, University of Chicago, IL.

Kohlberg, L. (1969). Stage and sequence: The cognitive developmental approach to socialization. In D. A. Goslin (Ed.). Handbook of Socialization Theory and Research, Chicago: Rand McNally.

Kohlberg, L. (1980) Stage of moral development as a basis for moral education. In B. Munsey (Ed.). Moral development, moral education, and Kohlberg: Basic issues in philosophy, psychology, religion, and education. Birmingham Alabama: Religious Education Press.

Kohlberg, L. (1981). Essays on moral development: Vol. 1, The philosophy of moral development. New York: Harper & Row.

Kohlberg, L. (1984). Essay on moral development: Vol. 2. The psychology of moral development. San Francisco: Harper and Row.

Kohlberg, L. and Kramer (1969).Continuities and discontinuities in childhood and adult moral development. Human Development, 12, 93-120.

Lee, L. and Snarey, J. (1988). The relationship between ego and moral development: A Theoretical review and empirical analysis. In D. lapsiey & C. Power (Eds.). Self, Ego, Identity: Integrative approaches (PP. 151-178). New York: Springer-Veriag.

Lei, T. & Cheng, S. (1989). A little but special light on the universality of moral judgment development. In L. Kohlberg et al. (Eds.), Rethinking moral development. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Lie, T. & Cheng, S. W.(1984) An Imperial study of Kohlberg's theory and scoring system of moral judgment in Chinese society. Unpublished manuscript. Cambridge: Harvard University, Center for Moral Education.

Lind, G. (1986). Cultural differences in moral development: A study of West and East European university student. Behavior Science Research, 53, 306-334.

Loevinger, J. (1987). Ego development: Conception and theories. San Francisco: Josssey- Bass.

Logan, R., Snarey, J., & Schrader, D. (1990). Autonomous versus heteronomous moral judgment types: A longitudinal cross-cultural study. Journal of Cross-cultural Psychology, 21, 71-89.

Ma, H. K.(1988). The Chinese perspective on moral judgment development. International Journal of Psychology, 23, 201-227.

Maqsud, M. (1980). Relationships between personal control, moral reasoning, and socioeconomic status of Nigerian Hausa adolescents. Journal of Youth and Adolescence, 9, 281-288.

Maqsud, M. (1977a). Moral reasoning of Nigerian and Pakistani Muslim adolescents. Journal of Moral Education, 7, 40-49.

Maqsud, M. (1977b). The influence of social heterogeneity and sentimental credibility on moral judgment of Nigerian Muslim adolescents. Journal of Cross-Cultural Psychology, 8, 75-85.

Maqsud, M. (1979). Cultural influences on transition in the development of moral reasoning in Nigerian boys. The Journal of Social Psychology, 108, 151-159.

Marchand-Jordin, L. & Samson, L. (1982). Kohlberg's theory applied to the moral and sexual development of adults. Journal of Moral Education, 11, 247-258.

Moon, Y. (1986). A review of cross-cultural studies on moral development using Defining Issues Test. Behavioral Science Research, 20, 147-177.

Nisan, M. & Kohlberg, L (1982). Universality and validation in moral judgment: A longitudinal study in Turkey. Child Development, 53, 865-876.

Park, J. Y. (1984). Moral development in rural and urban Korea. Journal of Cross-Cultural psychology, 15, 35-46.

Piaget, J. (1958). The growth of logical thinking from childhood to adolescence. New York: Basic Books.

Piaget, J. (1965). The Moral development of the child. New York: Macmillan.

Rest., J. (1986). Moral development; Advances in research and theory. New York: Parger.

Snarey, J. Reimer, J. &. Kohlberg, L. (1985). Developmental of social-moral reasoning among kibbutz adolescent: A longitudinal cross-cultural study. Developmental Psychology, 21, 3-17.

Snarey, J. & Lydens, L. (1990). Worker equality and adult development: The Kibbutz as a developmental model. Psychology and Aging, 5, 86-93.

Snarey, J. (1985). Cross-cultural universality of social-moral development: A critical review. Psychological Bulletin, 97, 202-232.

Turil, E. & Kohlberg, L. (1978). Moral development in Turkish children. Adolescents, and young adults. Journal of Cross-Cultural Psychology, 9, 75-85.

Vasudev, J. & Hummel, L. (1987). Moral stage sequence and principled reasoning in an Indian sample. Human Development, 30, 105-118.

Vasudev, J. (1983). A study of moral reasoning at different life stage in India. Unpublished Manuscript, University of Pittsburgh, P. A.

Walker, L. J. (1989). A longitudinal study of moral reasoning. Child Development, 60, 157-166.

Walker, L. J. (1984). Sex differences in the development of moral reasoning: A critical review of the literature. Child Development, 55, 677-691.

White, C. B. (1988). Age, education, and sex effects on adult moral reasoning. International Journal of Aging and Human development, 7, 271-281.

White, C. B. Bushnell, N. & Regnemer, J. L. (1978). Moral development in Bahamian school children: A 3 year examination of Ḳohlberg's stages of moral development. Developmental psychology, 14, 58-65.